السنة الرابعة والعشرون   العدد ٣   آذار   ١٩٢٦

المشرق

القديس بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

في مثل هذا الشهر آذار احتفلت مدرستنا الكليّة قبل ستين بتطويب احد مشاهير رجالها الطوباوي الكردينال روبرتس بلرمين (١ وها هي تعود في الشهر الحاضر الى تمجيد بطل آخر من جهابذة رهبنتنا اليسوعية الذي لا يزال اسمهُ شائعاً في كل انحاء اوربة المركزيّة كالمانية وباڤارية والنمسة وسويسرة وهولندة نريد به القديس اليسوعي بطرس كانيزيوس ملفان الكنيسة وأحد جبابرة الكثلكة في القرن السادس عشر. الذي اعلن الحبر الاعظم بقداسته يوم صعود الربّ من السنة الماضية ونظمهُ في عداد ملافنة الكنيسة الكبار. وبعد ان أُتيت حفلات عيدهِ الأوَّل في رومية قد خُصّص العام الحاضر لاقامة حفلات مثلها في جهات العالم الكاثوليكي

*

قال القديس اوغسطينوس: «انّ الله كان بامكانه منع الشرّ فغضّل ان يسمح به لكي يُظهر قدرتهُ ويستخرج من الشرّ خيراً». وهكذا حدث في القرن السادس عشر اذ كان لوثيروس راية العصيان على الكنيسة مدّعياً بالاصلاح الكاذب ومرخياً العنان لكل الشهوات البشرية الفاسدة. ففي ذاك العصر ازدانت الكنيسة بعدد عديد من اولياء الله الذين اكسبوها مفاخر جمّة يردّنها من كلّ التهم التي وجّهها اليها المبتدعون. فهو العصر الذي ازهر فيه رجالٌ كبار ادهشوا العالم بفضلهم وفضائلهم

(١ اطلب المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٢٤١-٢٤٧)

كالقديس بيوس الخامس وكفيليب دي نيري وبطرس القنطري وشرل بورومايس وتريزيا مصلحة رهبانيّة الكرمل وغيرهم كثيرين لا يزال ذكرهم حيًّا واعمالهم البرورة مسطَّرة بالحروف الذهبيَّة في بطون التاريخ

وفي اواسط ذلك العصر انشأ القديس اغناطيوس رهبانيَّة المناضلة عن حقوق الكنيسة وتعاليمها فأيَّده الله بعدَّة انصار تصدُّوا لبدع الهراطقة ووضعوا حدًّا لوثباتها. كفى بذكر البعض منهم كبطرس لوفافر سفير الاحبار الرومانيين لدى الملوك وكفرنسيس كسفاريوس رسول الهند واليابان وكلاينس وسلمرون سراجي المجمع التريدنتيني. وكفرنسيس بورجيا دوقة كنديا ونائب الملك على كاتلونيا

وقد امتاز بين هؤلاء بطرس كانيزيوس القام حديثًا على هياكل الكنيسة الكاثوليكية. وها نحن نعرِّف بوجيز الكلام ما استحقَّ له هذا الاكرام الجزيل في انحاء المعمور

١ الرجل

كان مولد كانيزيوس في مدينة نيماغ من حواضر بلاد هولندة حاضرًا وكانت في مهدها احدى مدن دوقيَّة غلدري المستقلَّة موقعها على نهر من سواعد الرين. اجتاز بها الامبراطور شرلماني وشيَّد له فيها قصرًا وبربوعها ولد الامبراطوران هنريكس الرابع وهنريكس السادس

ففي اليوم الثامن من أيار من السنة ١٥٢١ ابصر كانيزيوس النور وفيه عيد رئيس الملائكة ميخائيل المنتصر على قوَّات الجحيم. وكان لوتاروس في تلك السنة بعد جحوده نذور رهبانيَّته جاهر باضاليله مصرًّا على تعاليمه الفاسدة. وفيها دافع اغناطيوس دي لويولا كقائد جيش دولة اسبانية عن مدينة بمبلونة فكسرت ساقهُ وكان ذلك داعيًا الى انقطاعه الى خدمة الله ثمَّ الى انشاء الرهبانيَّة اليسوعية. فجعل الله الدواء قريبًا من الداء

كان والدا كانيزيوس شريفين ممتازين بتقواهما. تعيَّن ابوهُ جاك رئيس بلديَّته غير مرَّة واتَّخذهُ دوقة الدولة كسفيرهِ الى ملوك اوربَّة. وامُّهُ اجيديا انشدت الله اولادَها الثانية قبل موتها ان يثبتوا في ايمانهم الكاثوليكي ولا يُصيخوا سمعًا الى

البدع الجديدة وشقشقة زعمائها. فكان هذا الكلام احسن وقع في قلوب اولادها ولاسيا بطرس الصغير فانطبع في جنانه كطبع النقش على الحجر. تخرّج كانيزيوس في وطنه اوّلاً على اساتذة بارعين فاخذ عنهم مبادئ العلوم. وكان اذ ذاك مشمولاً بنظر اقاربه لاسيا احدى خالاته المعروفة بالفضل والتقى التي كانت تسهر عليه بكل حرص وترشده الى كل عمل صالح. فكان الولد اطوع لها من بنانها فكان يتردد على الكنائس ويثابر على الاسرار ويقضي زمناً طويلاً في الصلوات ويتقلد ما يسمعه من اعمال القديسين ليحقّق في نفسه ذكر فضائلهم

على انّ عدوّ البشر نصب له الاشراك بواسطة بعض الاشقياء الدارسين معه وكاد يقع في حبائلهم لولا نعمةٌ خاصّة من الله الذي صانهُ من مكايدهم فابتعد عنهم وتشبّث باحراز العلوم الادبيّة والثانويّة صارفاً ذهنهُ الى تثقيف عقله وتهذيب حياته حتى لم يجدهُ احدٌ فارغاً الّا والكتاب بيدهِ وسيرهُ . وقد دوّن في مذكرات حياته شكرهُ لله الذي لم يسمح بفقد كنز طهارة قلبه

لما بلغ كانيزيوس السنة الخامسة عشرة من عمره لم يجد في وطنه ما يشفي غليلهُ بتعليم اساتذته فاحبّ اهلهُ ان يواصل دروسهُ في احدى مدن المانية الشهيرة . وكانت مدينة كولونية في ذلك الزمان من اشهر مدن اوربة بجهابذتها واساتذتها . فانتقل اليها ونزل في بيت احد مواطنيه وكان كل يوم يسير الى مدارس المدينة ليكبّ على الدروس العليا فاتقن اوّلاً العلوم البيانيّة والخطابة سنة ١٥٣٥ ثمّ تفرّغ لدرس الفلسفة مدّة اربع سنين فحاز كلّ امتيازاتها من باكلوريوس ... دون وماجستر وبعد ان قدّم امتحاناً على كل قضايا الفلسفة أمام مجموع علماء كلية وجمهور اهلها فأعلن به استاذاً في ٢٥ أيار سنة ١٥٤٠

وكان في وسعه ان يقترن بالزواج مع آنسة من اشراف بلدهِ جامعة بين الغنى والجمال فصرّح انهُ يريد خدمة وطنه بالشرف بصفة كاهن. ولذلك باشر درس اللاهوت بفروعه وشفعهُ بدرس الحقوق المدنية والكنسيّة فاصاب فيها كما في الفلسفة قصبة السباق على اقرانه

وعاد الشيطان في مدّة دروسه في كولونية ايضاً عن سواء السبيل بما تهيئه في تلك المدينة الكبرى من الاسباب الوهمة والتجارب الداعية الى التراخي في الدين

والاستسلام الى الشهوات. بل وجد بين الاساتذة معلمين كانوا جنحوا سرًّا الى اضاليل البروتستانت فنفثوا سمّهم في تلامذتهم . لكنَّ الله ارسل لكانيزيوس كاهنًا ذا فضل عميم وعلم واسع وفضيلة سامية يُدعى نيقولا ڤان إِشه (N. Van Esche) اتّخذهُ كانيزيوس كمرشد امين وصديق صدوق اوقفهُ على اسرار ضميرهِ وانقاد الى مشورتهِ في امور نفسهِ وتدبير حياتهِ فنجا بواسطتهِ من كل غرور العالم وسقطة تبتهِ. وتعلّم من مرشدهِ كيف يجاهد في سبيل الله ويقهر شهواتهِ ويطلب كلَّ كمالٍ في اعمالهِ

٢ اليسوعي

كان كانيزيوس منذ نعومة اظفارهِ يتوق الى خدمة الله في السيرة النسكية اذ كان يزور مع اهلهِ وخصوصاً مع خالتهِ اديرة الرهبان والراهبات فيشعر في قلبهِ ميلًا الى الاقتداء بهم . ومما اخبرهُ في مذكراتهِ انهُ في السنة الثالثة عشرة من حياتهِ (١٥٣٤) زار مع والديهِ في مدينة أَرْنهيم ارملةً قديسة تُدعى رَينهولْدْ . فلما رأتهُ حدّقت اليهِ بنظرها وقالت: «عما قليل ستظهر رهبانيةٌ جديدة في الكنيسة للدفاع من الايمان وسيكون هذا الصبي من جملة كهنتها وسيردّ كثيرين من الضالّين الى حجر البيعة أمهم »

وكتب القديس ايضاً في وصيتهِ الاخيرة انَّ راهبةً اخرى من بلادِ بلجكة كرّرت عليهِ مثل هذا الوحي وذكرت انهُ سيخدم الكنيسة بتآليفهِ المديدة. فكلام الارملة والراهبة بقي مثبّتاً في قلبهِ طول ايام دروسهِ في كولونية وفي مدينة لوڤان . وانما بقي مرتاباً لا يعلم كيف تتمّ فيهِ مشيئتهُ تعالى فرغب الى اصحابهِ ان يشاركوه في الصلاة ليقف على حقيقة دعوتهِ

فما مرّت عليهِ بضعة ايام حتى سمع في قلبهِ صوتاً يؤكد لهُ انهُ سينال قريباً رغبتهُ . وهكذا كان. فانَّ في تلك الاثناء تعرَّف كانيزيوس بكاهنين اسبانيين كانا قدما الى كولونية لمراجعة دروسهما اللاهوتيّة . وكان كلاهما دخل الرهبانية اليسوعيّة التي ظهرت حديثاً في بلادهما بواسطة بطرس لوفاڤر رفيق القديس اغناطيوس. وكان لوفاڤر قد خرج من اسبانية وقصد المانية للتبشير فكانت جماهير الناس تتقاطر الى

استماع مواعظه ومحاضراته في مدينة ماينس فيرتدّ الخطأة الى الله عن يده

فنزم كانيزيوس من ساعته ان يذهب الى مواجهة لوفافر ليستشيره في امور نفسه. فما اجتمع به في اواخر نيسان من السنة ١٥٤٣ حتى اشعره الله انه الذي كان يطلبه. وباشر تحت ادارة ذاك المعلم القديس رياضات منشئ الرهبانية اغناطيوس دي لويولا مدة ثمانية ايام فأفعم الله قلبه تعزية ونوراً والتمس للحال من مرشده ان يقبله بين اعضاء الرهبانية اليسوعية. فاجاب الى ملتمسه وتمّ الامر فعلاً في يوم تذكار ميلاده ٨ ايار يوم عيد القديس ميخائيل من ذاك العام وعمره حينئذٍ ثلاث وعشرون سنة. وقد كتب بخط يده صكاً اودعه تخصيص نفسه لرهبانية يسوع وشكره لله تعالى من هذه النعمة الجزيلة ووعده بان ينقطع الى كل ما يؤول الى مجد الله وخلاص القريب تحت امر رؤسائه. وامضى ذلك الصك بخاتمه وسلمه الى الاب لوفافر واقتبل من يده القربان الاقدس كشفين على مواعيده. ثم اسرع واخبر اقاربه واصحابه ولاسيما مرشده الكاهن نيقولا بانتظامه في سلك الرهبانية اليسوعية وذلك بعبارات طافحة بالفرح أثرت في قلوب جميع من وقف عليها حتى انها دفعت البعض منهم الى الجري على آثاره في رهبانية يسوع

وفي تلك الاثناء بلغه خبر مرض والده فذهب الى نيامخ برخصة الاب لوفافر فوصل اليها ووجد اباه مستعداً لآخرته اتم الاستعداد وبقي عنده الى ان فارق دار الفناء. فأدّى اليه بطرس واجبات البر البنين وصلّى لراحة نفسه طويلاً فأراه الله والدَه في دار النعيم فتعزّى بتلك الرؤيا وفرّق على الفقراء ثروة ابيه مكتفياً بشيءٍ قليل لمأكله ومعاش رفقته

ثم عاد الى كولونية في اوائل سنة ١٥٤٤ وجعله لوفافر رئيساً على اخوته الرهبان فانجز هناك وفي جامعة لوفان دروسه اللاهوتية حتى بلغ منها مبلغاً حبّبه الى كل اساتذته فنحوه كل اجازات المتخرجين في جامعة كولونية وفي ختامها قبل سر الكهنوت (١٣ حزيران ١٥٤٦) وجدّد عزمه على تضحية قواه في خدمة الكنيسة

ولم ينتظر رجل الله سيامته كاهناً ليشتغل في كرم الرب فانَّ اكليروس كولونية استدعاه وهو شماس ليلقي المواعظ في كنائس المدينة وكان في ايام الآحاد والاعياد يفسر لجمهور المؤمنين الاسفار المقدسة فتضيق البيع مع رحبها على سامعيه

واذ رأى قحة البروتستانت في نشر بدعتهم في كولونية اخذ يفند امام الكاثوليك اضاليلهم حتى أفحمهم لكنهم اجتمعوا لدى ارباب الامر المائلين الى آرائهم وألحّوا عليهم لينفوا كانيزيوس ورفقته من حاضرتهم فأبرزوا حكماً في ذلك لولا انَّ عقلاء المدينة اوقفوا تنفيذهُ فاكتفوا بان يشتموا اليسوعيين في انحاء البلدة لتفريق كلمتهم. فصبر اليسوعيون على هذه الإهانة ولم يزدهم الاضطهاد الّا تحمّساً. وكان كانيزيوس في مقدّمتهم يُدهش الجميع بصبره وبمواصلة خدمه الروحية الى العموم حتى ألغي تماماً ذاك الحكم في حقهم. واذ بلغ الاهلين انَّ الرؤساء فكّروا في استدعائهم من المدينة لم يألوا جهدهم في حفظهم بقربهم

ثمّ ما لبثوا ان اظهروا اعتبارهم لشخص كانيزيوس في موقف حرج وذلك انَّ رئيس اساقفة كولونية الدمو هرمان دي فيد كان انضوى الى بدعة لوثاروس واخذ يبثُّ في شعبه اضاليلهُ. فرأى الكاثوليك ما يحيق بإيمانهم من الخطر الجسيم واجتمع اكليروس المدينة واعيانها لطلب دواء ناجع لهذا الداء فلم يجدوا لذلك ملاجاً الّا ان يطلبوا من الامبراطور شرل الخامس ان يتوسّط لدى الحبر الاعظم فيعزل هرمان من منصبه ويسلّم كنيسة كولونية الى رجل كاثوليكي. واتّفقوا على ان يرسلوا كانيزيوس الى الامير جورج النمساوي ابن الامبراطور مكسيميليان وعمّ شرل الخامس وهو وقتئذٍ رئيس اساقفة على مدينة لياج ليسعى عند ابن اخيه فيبدل ذاك الاجير بل الذئب الخاطف من راعٍ امين

فقام كانيزيوس احسن قيام بهذه المهمّة واخبر رئيسُ اساقفة لياج غيرتهُ وعلمهُ الواسع ووصّى بأموريته الامبراطور شرل الخامس. فعاد الرسول الى كولونية واوقف اهلها على نتيجة سفارته واذ رأوا اصرار اسقفهم على اضاليله ارسلوا كانيزيوس الى شرل الخامس ليعرض عليه امرهم. فسار الى مدينة أولم حيث اوقف الامبراطور على اعمال رئيس اساقفة كولونية واطلعهُ على مكاتيب التوصية من عند رئيس اساقفة لياج ومن سفير الحبر الاعظم اسقف اوغسبورج فما عتم ان كتب الى سفيره في رومية ليطلب من البابا أن يعزل هرمان من رئاسته فعمل الحبر الاعظم وحرم الاسقف الشايع للهراطقة وجعل لرعاية كنيسة كولونية اسقفاً جديداً معروفاً بإيمانه المستقيم وغيرته وهو أدولف دي شاونبرغ

وما كانت هذه الخدم الجليلة التي اداها كانيزيوس لاهل كولونية الّا كبــاكورة اعماله . فانّ الكنيسة الكاثوليكية كانت في اواخر السنة ١٥٤٥ عقدت احد مجامعها المسكونية الذي يُعدّ من اعظم مظاهرها الدينيّة نريد به المجمع التريدنتيني . وكان بين الذين حضروهُ عدّة يسوعيين كخطبــاء ولاهوتيين يمثلون الحبر الاعظم وبعض الاساقفة فوقع اختيار سفير الكرسي الرسولي في المانية الكردينال اوتون تروشاس اسقف اوغسبورج على كانيزيوس ليرسلهُ باسمهِ كنائبهِ الى المجمع . وخوفهِ من ممانعة اهل كولونيــة اسندّ الامر من القديس اغناطيوس في روميــة فلبّى دعوته وسافر كانيزيوس الى مدينة تريدنتي فوجد هناك اربعةً من اخوتهِ الرهبان اثنان منهم لاَينس وسَلمرون بصفة لاهوتيَّي الحبر الاعظم فاشترك كانيزيوس معهم سواء. كان بخطبــهِ في المجمع ام بوضعهِ لقسم من دستورهِ . وبقي هناك الى خريف السنة ١٥٤٧ حيث أُوقفت جلسات المجمع . فاستدعى القديس اغناطيوس الى رومية كانيزيوس لكي يهتمّ بنفسهِ في تأسيسهِ بكل الفضائل الرهبانيّة فامتحنهُ مدّة ثلاثة اشهر فسُرّ بما رآهُ فيهِ من الكمال الرهباني . وبعد ان ارسلهُ الى مدينة مسّينة ليعلّم في مدرستها الآداب ويراقب مدرّسيها اعادهُ الى رومية واجاز لهُ ان يُبرز امامهُ نذوره الاحتفاليّة وبها بلغ اوج نظام رهبانيّتهِ

كان يوم ابراز كانيزيوس لنذورهِ الاخيرة امام رئيسه القــديس اغناطيوس يوماً مشهوداً نال فيهِ من الله اسبغ نعمهِ . وكان سبَقَ ومثَلَ امام الحبر الاعظم بولس الثالث فنــال بركتهُ ثمّ دخل باثرها كنيسة القديس بطرس الفاتيكانيّة فاوحى الله اليهِ انّهُ اختارهُ ليكون رسول المــانية لينتصر للايمان الكاثوليكي بازاء المراطقة . واذ كان يشكو امام الرب من ضعفهِ في القيام بمثل هذه الدعوة الشاقّة ظهر لهُ الســيد المسيح وكشف لــهُ عن قلبهِ كما فعل مع القديسة مرغريتة مريم وأمرهُ ان يستقي من هذا الينبوع ما يحتاج اليهِ من النعم ليفوز بغايتهِ . فشعر بعد ذلك بقوّة الهيّة نفت عنهُ كلّ خوفٍ ووجد حالــهُ مستعدّاً لتضحية نفسهِ واحتمال كلّ المشقّات والانصاب حتى الموت . ونسَبَ هــذه النعم الى شفاعة ابيهِ اغناطيوس الذي تقبّل نذوره في اليوم التالي

٣ الرسول

مَنْ لنا أن نصف سوء احوال الدين في المانية في اواسط القرن السادس عشر . فمنذ يوم نفخ فيها لوثيروس روح الفتن والعصيان كانت اصبحت تلك البلاد ساحةً للثورة الدينيَّة والفوضى . فانَّ مشايعي ذاك الراهب الجاحد كانوا يتجوَّلون في كل الانحاء وفي ايديهم السيف والنار فينهبون الاديار ويقتلون الكهنة واتقياء المؤمنين ويحرقون الكنائس ويبيحون كل الارجاس . وكانت تعاليمهم كلُّها موجَّهة لنقض عقائد الكنيسة لا يعرفون إلَّا السبَّ والشتم واهانة الاكليروس وخرق المقدَّسات . وكثيرًا ما كانوا يناقضون بعضهم بعضاً فيزيِّف الواحد قول الآخر وينسب اليه الضلال حتى اخذ لوثاروس يلعن ذويهِ الذين لم يعودوا يسمعون له امرًا . امَّا الشبيبة فاطلقت لشهواتها كل عنان واستسلمت الى كل اهواء النفس الأمَّارة فلم يعد يعرف الرؤساء كيف يضعون حدًّا لهذا السيل العرمرم

﴿ كانيزيوس في بافارية ﴾

وكان رئيس دولة بافارية الدوقة غيليوم يسعى طاقة جهدهِ الى صيانة بلادهِ من شرور المراطقة وكثيرًا ما كان يردّد قولهُ « اني أفضّل فقد املاكي وحياتي على ان اسلّم شعبي للوثيروس » . وكان يسعفهُ في جهادهِ هذا رجلان شهيران بسموّ علومها وتقاهما اللاهوتيّ جان إكيوس وكنشليار مدرسة إنغولستاد الجامعة المدعو ليونار دإكّ . وكانت الجامعة حريصة على حفظ الايمان والدفاع عنهُ في تعاليمها اذ كان بين معلّميها لئيوس الشهير الملقّب بطرقة الهراطقة والراهب جاك هيولان الضليع بالعلوم الشرقيَّة

على انَّ ذاك السياج اخذ يتحلحل بعد وفاة جان إكيوس في ٢٠ شباط سنة ١٥٤٥ وجعل اعداء الدين يتسرَّبون الى جهات بافارية حتى تأثَّر من تعاليمهم بعض اساتذة المدارس واوشك الضلال ان يخامر عقول الناشئة . فلم يرَ دوقة بافارية دواء أصلح من ان يلتجئ الى منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة ليرسل الى جامعة انغولستاد بعضاً من رهبانهِ

ليعيدوا اليها رونقها السابق بتعليمهم ويفندوا اضاليل اللوترانيين ويهذبوا الشبيبة تهذيباً مسيحياً صالحاً لئلا تغويهم اباطيل الهراطقة

كان الرهبان اليسوعيون في ذلك العهد قليلي العدد والملوك والاساقفة يستدعونهم من كل ناحية لما شاع في البلاد من صيت علمهم وبرّهم. ومع ذلك لم يشأ القديس ان يخيّب امل دوقة بافارية فارسل اليه ثلثة من افضل رهبانه قدّموا قبل سفرهم فحصاً مدقّقاً عن كل العلوم اللاهوتية في جامعة بولونية الشهيرة فخوّلهم اساطينها شهادة الملفنة ثمّ ساروا الى مدينة مونيخ. وكان الدوقة في انتظارهم بفروغ الصبر فرحّب بهم وبالغ في اكرامهم وبعد أيام قليلة قادهم كنشليارهُ الى انغولستاد وعهد اليهم بتدريس ثلثة فروع من علومها اللاهوتيّة والفلسفيّة والكتابيّة. فما مرّ عليهم بضعة اشهر حتى حفلت الجامعة بالدارسين وسار ذكر الاساتذة الجدد الى اقاصي المانية

وتولى كانيزيوس ادارة الدروس وتنظيمها ومراقبة طلبتها وكان يُعنى بامور كل واحد منهم لا يأخذهُ ملل في نجاحهم. وكان اذا رأى بينهم متأخرين في دروسهم يلقي عليهم دروساً خاصّة حتى احبتهُ الشبيبة وتقرّبت اليه واثقةً بكلامهِ

فانتهز تلك الفرصة ليحيي في المدينة روح الدين الذي كاد يفنى بغارات اعدائه وشرع يعظ في الكنائس ويعقد الجمعيّات التقويّة ويحرّض المؤمنين على كل الاعمال الصالحة والمثابرة على الاسرار. فلقي في اول الامر عناء كبيراً الّا انّهُ لم ييأس من ادراك غايتهِ فبارك الله ثباتهُ وبعد سنتين تغيّر وجه المدينة واصبحت زاهرةً بالآداب والفضائل المسيحيّة. وكان القديس يهتمّ خصوصاً بفتح مدرسة ثانويّة لرهبانيّتهِ لتثقيف الاحداث قبل دخولهم الجامعة ولاسيا ان انغولستاد بوقعها في مركز البلاد كان لها نفوذ اعظم في انحاء المانية وكان جلّ اهتمامهِ بألّا يفوّض التعليم في المدارس لغير المعلّمين المعروفين باستقامة ايمانهم وبرارة حياتهم

﴿كانيزيوس في النمسا﴾

بلغ خبر نجاح اليسوعيين في بافارية مسامع ملك النمسة فرديننذ الاوّل ملك الرومانيين فعرف انّ لا شفاء لدولته الّا بذات الدواء. وكانت النمسة في حاجة ماسّة الى النجاة من مخالب البروتستانت الذين كانوا عاثوا فيها فساداً فأضلّوا ثلثي سكانها

فسعى الملك وجان فابر رئيس اساقفة فينّا لدى الحبر الاعظم جوليوس الثالث ولدى القديس اغناطيوس لينال بعضاً من اليسوعيين لينقذوا بلادهما من براثن الهراطقة. فسار اليها اوّلاً الاب لوجاي ولاَنوا سنة ١٥٥١ وباشرا بإحياء جامعة فينّا عاصمتها التي كانت باتت النزاع بسقوط دروسها. وفي العام المقبل اتّسعت دائرة العمل فأرسل اليها كانيزيوس بعد ان وطّد دعائم جامعة انغلستاد (سنة ١٥٥٢) فجدّد في فينّة مساعيه كما فعل في باڤارية بالمواعظ والتعليم وكان يعود المرضى في المستشفيات. وفي اثناء ذلك ظهر الطاعون في فينّا فكان كانيزيوس اوّل من خصّص نفسه بخدمة المطعونين وكان يُعنى بفقراء المدينة فيوزّع عليهم ما يجمعهُ من صدقات المؤمنين ويزور الحبساء في سجنهم ويساعد في منقع الدم مَن حُكم عليهِ بالإعدام ويفرغ الوسع خصوصاً في اصلاح الاكليروس.

ثم زادت اشغال كانيزيوس بوفاة الاب لوجاي فعُهدت اليهِ رئاسة اخوتهِ وطلبهُ الملك ليعظ في بلاطهِ فلم يأبَ. وفي السنة ١٥٥٣ منح الحبر الاعظم يوبيلاً للمملكة ففي أيام الصيام تجوّل في المدن والقرى ليدعو المؤمنين الى ربح الغفارين والنعم الروحيّة المنوطة باليوبيل. فكانت هذه الاعمال كبواق الديدونة افاقت المؤمنين من سُباتهم وانعشت فيهم روح الدين بعد خمولهِ.

ثمّ عاد الى فينّا وترأس على جامعتها فنظّم كل دروسها ووضع لها القوانين الحكيمة وعيّن لها الكتب المدرسيّة الصالحة واحرق ما وجدهُ من كتب الهراطقة. ثم ادرك ما للدروس الثانويّة من عظم الشأن لنجاحها وتربية الاحداث منذ نعومة اظفارهم فانشأ بالاتفاق مع الملك فرديننڊ مدرسةً لاشراف البلاد يوميّة وليليّة وانتدب لتعليمهم بعض اليسوعيين. فاتت تلك المدرسة بأطيب الثمار وخرج منها عددٌ لا يُحصى من رجال الدنيا والدين كانوا فخراً لبلادهم وسوراً حماها من غارات الهراطقة. وهناك تخرّج ذاك الشاب الملائكي القديس استانسلاوس كوستكا من اعيان بولونية فارسلهُ كانيزيوس الى رومية فدخل الرهبانيّة اليسوعيّة وفيها توفي بعد عشرة اشهر برائحة القداسة يوم عيد انتقال العذراء الى السماء.

وفي تلك الاثناء تقدم رجلان من زعماء البروتستانت الى فينّا وطلبا جدالاً عمومياً مع كانيزيوس في امور الدين فلبّى القديس الى ملتمسهما وفي اليوم المعيّن اجتمع اعيان

المدينة في معهد واسع فباشر الرهبان وافاضا في التشنيع على التعاليم الكاثوليكيَّة بالشتم وبذيّ الكلام كمألوف عادة المبتدعين وانَّما القديس قام وفنَّد كل اعتراضاتها فرد الواحد منها الى الايمان وخرج الثاني منضباً يتهدَّد كانيزيوس واخذ مع رفقته يدس الدسائس ليظفر به ويقتلهُ . فكان القديس يردّد قولهُ : «يا ليتني اموت في سبيل الايمان فانَّ دم الشهداء احسن زريعة للكنيسة» . لكنَّ الملك خوفاً عليهِ من اولئك الاشقياء وكَّل الى حرسهِ بان يراقبوا اعداءهُ فلا يَدعوهم يرتكبون في حقهِ سوءًا . اما القديس فزاد غيرةً ولم يزل يتعقَّب آثار الهراطقة لاسيما المستترين منهم تحت ثياب الحملان كالقانوني نياوزر الذي كان وقع في فخاخ البروتستانت

ولما رأى فرديناند اعمال كانيزيوس الجبَّارية في عاصمتهِ وخذلان ارباب الهراطقة بمساعيهِ اراد ان يقيمه خلفاً لجان فابر المتوفى فيكون رئيس اساقفة على فينَّة إلَّا انَّ القديس ابى الامر كلَّ الاباء . وبعد الالحاح المتواتر رضي بان يكون مدبّراً للكرسي الاسقفي ريثما يُقام على المدينة حبرٌ جديد فبقي في تلك المهمة سنةً تولى فيها كل شؤون فينَّا الروحية فعُدَّت في تاريخها من ابرك السنين حتى انَّ خلفاءهُ من اساقفة فينَّا جعلوا الى يومنا صورتهُ في سلسلة صُوَر احبارهم

وكان البروتستانت بإزاء النهضة الكاثوليكيَّة على يد اليسوعيّين في بافارية والنمسا والمانية تحزَّبوا جامعين قواهم وزادوا قحةً وتحاملوا بما امكنهم من ضروب العداء على الكنيسة وحماتها وعقائدها . فرأى كانيزيوس ان اقرب واسطة لكسر شباتهم وتقبيح آرائهم ان يؤلّف للشبيبة خلاصة التعليم المسيحي على صورة واضحة بادلَّة بيّنة من آيات الاسفار المقدَّسة واقوال الآباء على كل معتقد من معتقدات الكاثوليك المنافية لاضاليل البروتستانت والناقضة لكل مذاهبهم . فظهر هذا التعليم في اوائل أيار من السنة ١٥٥٥ وانتشر ايّ انتشار في كل اقطار اوربَّة . وكان اول تعليم ظهر في الكنيسة من جنسهِ ليس فيهِ كلمة جارحة في حقّ المبتدعين وانَّما يدكُّ كل مزاعمهم دكًّا . فتكرَّرت بعد قليل طبعاتهُ واصبح في كل المدارس الدستور القانوني للتعليم المسيحي بامر الاساقفة والملوك . وكان اعظم برهان على انهُ اصاب الهدف انَّ البروتستانت انهالوا على كاتبهِ بكل انواع الشتائم ولم يستطيعوا تفنيده

ثمَّ اختصر القديس هذا التعليم للاحداث الصغار فزاد رواجهُ ولم تخلُ مدرسة

من فوائده. وقد نُقل الى كل اللغات الاوربيَّة حتى اللغات الشرقية منهُ ترجمة عبرانيَّة وعربيَّة كُثرت سابقاً في مطبعتنا الكاثوليكيَّة

﴿كانيزيوس رسول المانيا﴾

انَّ ما اصابهُ كانيزيوس من الشهرة في باڤارية والنمسة استوقف نظر سائر الدول المركزيَّة اليوالي رهبانيتهِ. وكان اليسوعيُّون يزدادون كل يوم عدداً فدخلوا في عدَّة مدن بدعوة الامراء الكاثوليك والاساقفة. فرأى القديس اغناطيوس ان يقيم كانيزيوس رئيساً اقليمياً على كل جهات المانية والنمسة ليسير جميع الرهبان على خطة واحدة في فلاحة كرم الربّ وفي الدفاع عن حياض الدين ضدّ الهراطقة وقد تمَّ الامر في اواخر نيسان سنة ١٥٥٦

انَّهُ لامر صعب ان نعدد كل اعمال كانيزيوس مدة الخمس والعشرين السنة التي قضاها في المانية لخدمة الكنيسة الكاثوليكيَّة (١٥٥٦ـــ١٥٨٠) فان تعدادها يستغرق مجلداً واسعاً وانَّا نشير فقط اليها اشارة خفيفة اجمالية

تحقق كانيزيوس في تلك المدة انَّ انجع واسطة لصيانة الكاثوليك من وباء الهرطقة انشاء مدارس ثانويَّة لتهذيب الشبيبة. فبادر على قدر ما وجدهُ من رهبانهِ لهذا العمل الخطير وفتح في المدن الآتية مدارس منظَّمة: في مونيخ وكولونية وانغولستاد وڤيانّة وبراغ وفورمس وفي وطنه نياغ وفي فريبورغ الالمانيَّة وانسبروك وستُويتنج ودلنجن وتيبورج واولموتز وسبير ودبلنين. وقد تسلَّم في هذه المدينة الاخيرة ادارة جامعتها الكبيرة ما عدا مدرستها الثانويَّة. ولعمري انَّ واحدة من هذه المدارس كانت كافية لتشغل عدَّة رجال فكيف امكن كانيزيوس ان يقوم بانشائها ومراقبتها كلها!

ومن اعماله الجليلة حضورهُ في اربعة مؤتمرات للمفاوضة مع المبتدعين بحضور كرادلة ممثلين للحبر الاعظم وكثيرين من الاساقفة والامراء في فورمس واوغسبورج وراتسبون وبيتروكوف فخطب مراراً وأفحم المبتدعين. ثمَّ عاد الى تريدنتي عند استئناف اعمال المجمع المسكوني بصفة لاهوتي

وكان في هذه السنين ينتقل الى كل اقطار المانية وباڤارية والنمسة وبولونية

ومنارية يلقي فيها المواعظ والارشادات والمحاضرات والخطب المختلفة للدفاع عن الدين ولاصلاح احوال المملكة . وكثيراً ما كان يخطب امام الملوك والامراء وقد انتدبهُ الاحبار الرومانيون جوليوس الثالث وبيوس الرابع والقديس بيوس الخامس وغريغوريوس الثالث فارسلوهُ كسفيرهم الى الاباطرة والملوك فكان بحكمتهِ يقضي مأمورياتهِ على وفق مرامهم فيثنون على حذقهِ ومهارتهِ

وزد على ذلك انهُ كان يتفرّغ في ليلهِ للتأليف ردّاً على تُهم وسفسطات الهراطقة كما سنذكرهُ . وتآليفهُ وحدها لمّا يشغل حياةً بتمامها . واذ لم يعرف البروتستانت كيف ينجون من جدالهِ اشاعوا بين ذويهم في ڤورتسبورج أنهُ عدل الى مذهبهم . فلما بلغ الخبر أذن كانيزيوس ذهب من وقته الى تلك المدينة واخذ يعظ في كنائسها الكاثوليكيّة فانكشف مكرهم لدى الجميع . وقد ردّ رجل الله الوفاً من الذين كانوا عدلوا الى المذهب البروتستاني فارعووا عن ضلالهم بينهم الامراء والاعيان

﴿ كانيزيوس رسول سويسرا (١٥٨٠–١٥٩٧) ﴾

كان كانيزيوس بلغ الستين من عمرهِ وهو لا يزال في نشاطهِ وهمّتهِ مع ما قاساه من المشقّات والاتعاب . وفي تلك الاثناء حاول البروتستانت ان يزرعوا زؤانهم في سويسرة وكان زوينغل وكلوينوس قد افسدا قسماً من مقاطعاتها كجنيڤه وبرن وباسل وزوريخ . فعرف رؤساء الكنيسة انّ الداء لا يُحسم الّا بدخول اليسوعيين وطلب الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر ان يُرسَل كانيزيوس الى ڤريبورغ فسار مع احد الرهبان اخوتهِ برفقة النائب الرسولي فمرّوا في بعض الاحياء البروتستانيّة ولم ينجوا من أذى سكّانها حتى بلغوا ڤريبورغ في ١٠ ك١ سنة ١٥٨٠

وكانت ڤريبورغ عينها قد شرب قسمٌ من اهلها من كأس البروتستانت المسكرة فتبعوهم في ضلالهم وبثّوا في العموم ضروباً من التهم في حقّ اليسوعيين . الّا انّ القديس لم يشأ ان يزجرهم وفضّل ان يظهر للجميع محبّة الكنيسة الكاثوليكيّة واهتمامها بخلاص النفوس فاستعدّ لفتح مدرسة كبيرة للناشئة ثمّ اخذ مع رفيقهِ يتفانى في خدمة المنكوبين من فقراء ومرضى ومحابيس مع القاء المواعظ والارشادات لكل

طبقات اهل المدينة وشرح التعليم المسيحي الصغار وزيارة المدن والقرى المجاورة. فما لبثت المدينة ان نفضت عنها غبار الهراطقة وانتعش فيها روح الدين والايمان الحي. ثمّ سعى الى ان يستأصل العادات التي ألفها الكثيرون من شرب المسكرات ومطالعة الكتب الفاسدة والاختلاط باعداء الدين

وما تمّ بناء المدرسة الكبرى حتى تقاطر اليها الطلبة من كل صوب. فاصبحت منبعاً صافياً للتعاليم الكاثوليكيّة استقى منهُ اهل فريبورغ وكل الاحياء المجاورة له. وكان البروتستانت لما يرون من فضل الدين الكاثوليكي يأتون الى كانيزيوس ويلقون عليهِ مشاكلهم فيفضّها فيرتدّون الى ايمان اجدادهم وينبذون البدع الكاذبة آسفين على انخداعهم بإفك زعمائها

قضى كانيزيوس ١٩ سنة في سويسرة يرشد ويعلّم ويفتح المدارس الجديدة والاهلون يكرمونهُ إكرامهم لملاك نزل من السماء لا يحيدون في شيء عن نصائحهِ. وكانوا اذا سمعوا بانّ الرؤساء يريدون اخراجهُ من بلدهم لا يسكن لهم بال حتى يقنعوهم بحفظهِ في ظهرانيهم. واذا خرج لمهمّةٍ في محلّ آخر يراقبون حركاتهِ وسكناتهِ وريثما يعود بينهم فيفرحون برجوعهِ فرح ابن البنين باحبّ الآباء. ولمّا ضاقت مدرسة المدينة على كثرة طلبتها لم يتردّدوا في ان ينفقوا المبالغ الطائلة لتشييد غيرها اوسع منها نُرى بقاياها الى يومنا

على انّ ثقل الأيام وكثرة الاشغال لم تزل تبهظ عاتق رسول سويسرا حتى نهكت قواهُ ومُني بمرض عضال في اواخر سنة ١٥٩٧ فكان الاهلون لا يكفّون عن الصلاة لشفائهِ ويتألمون باوجاعهِ ويودّون لو يفدونهُ بحياتهم. الّا انّ ساعة جزائهِ كانت حلّت. ولمّا شعر بقرب الوفاة لاحت على وجههِ لوائح الفرح وردّد كلمات الرسول: اني اريد ان انحلّ واكون مع المسيح. وكان آخر ما لفظت بهِ شفاههُ قولهُ مشيراً الى صورة العذراء: انظروا! انظروا! السلام يا مريم! فسلّم روحهُ بين ايدي تلك الامّ التي كان دافع عن شرفها مراراً قدّام الهراطقة. كانت وفاة كانيزيوس في ٢١ ك ١ ١٥٩٧ وعمرهُ ٧٦ سنة قضى منها في الرهبنة اليسوعيّة ٥٤ سنة

وقد تعدّدت الكرامات بشفاعتهِ بعد مماتهِ منها انّ اهل فريبورغ نجوا من الطاعون الذي قرُبَ من مدينتهم قبل وفاتهِ كما كان وعدهم. وآيات أخرى كثيرة

مفصَّلة في سيرة حياته وفحص البعض منها الكرسي الرسولي قبل تثبيته كطوباوي سنة ١٨٦٥ ثمَّ قبل الاعلان به قديساً في العام الماضي ١٩٢٥

ومن ١٣٠ سنة لا يزال ذكر القديس حياً في فريبورغ وجثّته مكرّماً يقصده اهل سويسرة من كل انحاء بلادهم كمزار شفيعهم ورسولهم الخاص

٤ القديس والملفان

قد ضاق بنا المجال مع قلّة ما ذكرنا من اعمال كانيزيوس ولا يسعنا الّا ان نذكر بوجيز الكلام شيئاً من فضائل القديس وعلومهِ

انَّ قداسة كانيزيوس قد ظهرت منذ شبابه اذكان دارساً في وطنه فانّهُ منذ ذاك الحين لدى اطلاعه على فساد وقتهِ الدارسين نذر العفّة ليصون نفسهُ من كل دنس وكان يقوم ليلًا من فراشه للصلاة في الخلوة ويمارس ما استطاع من التقشفات

ولم يكتفِ يوم دخولهِ الرهبنة ان يمارس ما تقتضيه دعوته من اسباب الكمال حتى اراد ان يبلغ ذروتهُ. فكان مثالًا حيًّا لكل الفضائل الكهنوتية لاخوتهِ الرهبان ولعموم الذين يقربون من شخصهِ. ومن عجيب امرهِ انهُ عاش بين احبار الكنيسة وملوك العالم وكل طبقات البشر والجميع يتفقون على فضائلهِ السامية من تواضع ووداعة وغيرة متّقدة وحزم وثبات في العمل وصبر جميل على شدائد الحياة وعلى سوء معاملات اعداء الكنيسة وتفانٍ في خدمة كل النكوبين وبؤساء هذا العالم. وكان يستمدُّ تلك الفضائل من مناجاة الله في الصلاة وممارسة الرياضات التقوية كلّما تسنح لهُ بها اشغالهُ المتراكمة. وعلى الرغم من سموّ اشغاله ونفوذ كلمتهِ في كلّ حلقات ارباب الدين والدنيا لم يزل مطيعاً لأدنى اشارة من رؤسائه يُسرع الى تنفيذ اوامرهم مهما كلّفتهُ من الاتعاب

امّا علم كانيزيوس فانّهُ احد الامور المدهشة في حياته. فانّهُ قد اظهرهُ في جميع معاملاته اذ كان يلقي في نوادي العلماء وفي مجامع الكنيسة الخطب في كل العلوم الدينيَّة من لاهوت وفلسفة وحقّ قانوني وتفسير الاسفار المقدَّسة. بل علّم كل هذه العلوم في بعض الجامعات كانغولستاد ودِيلِنْغن. وكان خطيباً مصقعاً قد بقي قسمٌ من خطبهِ وارشاداتهِ باللاتينيَّة تشهد لهُ بطول باعهِ وعارضتهِ. ولم ينكّ عن تفنيد مزاعم

المبتدعين وكثيراً ما كان يردُّ عليهم بديهاً دون استعداد سابق فيفحمهم تماماً

وكان الاحبار الرومانيون والاساقفة والملوك ثقةً بعلمه الواسع يستشيرونهُ في كل حاجاتهم فيحمدون نصائحهُ ويختبرون صحة نظره فيها . وكفى بهِ شرفاً أنهُ كان احد انوار المجمع التريدنتيني الجامع لمعظم اركان الدين ووجوه الكنيسة

وقد سبق ما اصابهُ كانيزيوس من الفوز الباهر بكتابهِ التعليم المسيحي . ولم يكن هذا اوَّل تآليفهِ ولا الوحيد . فانهُ باشر بالتأليف وهو في الثانية والعشرين من عمرهِ فنشر سنة ١٥٤٣ تآليف احد كبار معلمي الحياة الروحية تولر (Tauler) الشهير . وفي السنة ١٥٤٦ نشر اعمال القديس كيرلس الاسكندري باليونانيَّة ثمَّ نشر باللاتينيَّة في السنة ذاتها اعمال القديس لاون الكبير . وفي السنة ١٥٥٥ نشر تعليمه المسيحي السابق ذكرهُ مطوَّلاً ثم ملخصاً سنة ١٥٥٦ باللاتينيَّة والالمانيَّة . وطبع ايضاً في السنة ١٥٥٦ تأليفاً حسناً في تعزية المرضى وإعدادهم للميتة الصالحة . وفي السنة ١٥٥٧ نشر ردودهُ على تآليف بركتس البروتستاني . وفي السنة ١٥٦٠ ابرز كتاباً روحياً لصلوات المؤمنين ولتنظيم كل حياتهم الدينيَّة ومن امتع تآليفهِ كتاب شكسار الكنيسة باللغة الالمانيَّة سنة ١٥٦٢ . وفي السنة ١٥٦٣ خدم الآداب المدرسيَّة والتاريخيَّة معاً بنشرهِ مراسلات القديس ايرونيموس فضبطها ضبطاً تاماً وذيَّلها بالحواشي . ومن السنة ١٥٦٦ الى ١٥٧٧ ألَّف مجلَّدين ضخمين ردّاً على ما ضمَّنهُ البروتستانت من التهم والاضاليل في دائرة معارفهم المطبوعة في مغدبورج Les Centuriareurs de Magdebourg) . وفي السنة ١٥٦٩ نشر مجموعاً ثنيناً من الخطب والمواعظ لاعياد السنة . وفي السنة ١٥٧٠ زوَّد المؤمنين بشروح على الرسائل والاناجيل التي لا تقرأ في الكنيسة وفي السنة ١٥٧٥ وضع سيرةً للسيّد المسيح كثر رواجها

فهذه وتآليف أخرى ايضاً لا تزال مخطوطة أهَّلت القديس كانيزيوس بان ينظمهُ الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر يوم تثبيتهِ قديساً بين ملافنة الكنيسة وهو شرفٌ لم يُصبهُ الَّا قليلون من القديسين . وبهذا الامتياز الفريد كلَّل الله عبدهُ الامين بتاج من الفخر والجلال حتى في الكنيسة المجاهدة على الارض بعد أن خوَّلهُ في دار البقاء اكليلاً من المجد الاثيل الذي استحقهُ بحياتهِ البارَّة وجهادهِ الصالح

تطويب شهداء كندا اليسوعيين

لحضرة الاب عمانويل رولان اليسوعي

توطئة

لمّا انشأ القديس اغناطيوس دي لويولا رهبانيّة يسوع كانت غايتهُ ان يمجّد الله بين المؤمنين ويردّ غير المؤمنين الى حجر الكنيسة الكاثوليكية . ومنذ اوّل انشائهِ لجمعيّتهِ افرز بعضاً منهم للتبشير بين الامم التي لم تستضئ بنور الانجيل . كفى اشارةً الى ذلك ذكر احد رفقتهِ العشرة الاوّلين رسول الهند واليابان فرنسيس كسفاريوس

ومذ ذاك الحين انبثّ ابناء اغناطيوس في كل انحاء المعمور الى اقصى البلاد بُعدًا وأهمج الامم اخلاقاً لا يوقفهم في هذا العمل الجليل شيءٌ من الاتعاب والمعاكسات وضروب العذابات . حتى مات كثيرون منهم ضحايا غيرتهم بعد ان سقوا مواطن الامم البربريّة بعرق جبينهم او صبغوها بدمائهم الزكيّة . وربّما بلغ عدد هؤلاء الرهبان المبشرين عدّة الوف حتى كاد يقارب ثُلث الجمعية كلها . كفى دليلًا عليهِ عددهم اليوم في الرسالات نحو ٣٦٠٠

*

على انَّ بين الرسالات العديدة التي سار اليسوعيّون اليها بطيب القلب في القرن السابع عشر رسالة كندا شماليّ الولايات المتحدة قصدوها رغبةً في مقاساة ما كان ينتظرهم فيها من المشقات واصناف المحن والعذابات

سبق الفرنسويون ودخلوا كندا قبل غيرهم من الدول . فنصب الربّان جاك كرتيه (J. Cartier) لواء فرنسة على اراضيها فاستوطنها الفرنسويون بعدهُ واخذوا باستعمارها

فقصد راهبان يسوعيان فرنسويّان تلك المستعمرة الجديدة ليخدما معاً الفرنسويين المستوطنين هناك ويبشرا بالايمان الوطنيين عبدة الاوثان . ولم تطل مدّتهما فانَّ الانكليز الذين كانوا في الولايات المتحدة قريباً من كندا اغاروا عليها وقبضوا

على اليسوعيين ونقلوهما كرهاً الى فرنسة سنة ١٦١١

فارسل ملك فرنسة سنة ١٦١٣ كوالٍ على كندا رجلاً ذا بأس وَمِراس يدعى صموئيل شمبلان فلمّا بلغها عزّز تلك المستعمرة في وجه العدو واستدعى للتبشير بين قبائل الهنود بعض الآباء الفرنسيسيين فلم تطُلْ مدّتهم وعاد اليسوعيون فاستأنفوا رسالتهم في كندا سنة ١٦٢٥ . فما كاد يثبت فيها قدمهم حتى استولى الانكليز ثانيةً على كندا فاوقفوا المرسلين كأسرى وردّوهم الى بلادهم سنة ١٦٢٩

وانّما عُقدت سنة ١٦٣٢ معاهدة في باريس بين فرنسة وانكلترة كان بين تقاريرها خروج الانكليز من سائر بلاد كندا لتُعاد الى الفرنسويين . فرجع اليها شمبلان وبصحبته مرسلون من الرهبانيّة اليسوعيّة الذين بادروا فاقتسموا بينهم العمل فبقي قسمٌ منهم خدمة الفرنسويين المستعمرين في مونتريال وكيبك وتروا ريفيار لتهذيب اولادهم. وسار قسم آخر لتبشير قبائل الهنود المتفرّقة في جهات البلاد. وما لبث ان توفّر عدد المرسلين فبلغ سنة ١٦٣٨ ستة وعشرين راهباً. كان من جملتهم اربعة ممّن استحقّوا نعمة الشهادة وهم الآباء انطون دانيال وجان دي بريبوف (J. de Brébeuf) واسحق جوك (Isaac Jogues) وشرل غرنيه (Ch. Garnier). ثمّ تبعهم بعد زمن في رسالتهم اثنان آخران نالا مثلهم اكليل الاستشهاد وهما الابوان جبرائيل لالمان (G. Lalemant) ونويل شبانيل (N. Chabanel) مع اخوين مساعدين للمرسلين اسمهما رنه غوبيل (R. Gaupil) وجان دي لالند (J. de Lalande) وكلّهم فرنسويون

أمّا القبائل الهنديّة التي كان المرسلون يحاولون تنصيرها فكانت عديدة : منها هادئة دمثة الاخلاق تُرزق بالصيد والرعية والفلاحة . ومنها شرسة الطباع تعيش من الغزوات والنهب والسلب ومعظمها لا تقيم في مكان بل يتنقّلون من موضع الى آخر ويسكنون المضارب والخيم . وقد اشتهر بين هذه القبائل بهمجيّتهم الوحشيّة وفظاظتهم البالغة قبائل تُدعى باسم ايروكوا (Iroquois) كانت تمتدّ في خمس مقاطعات كبيرة موقعها جنوبي بحيرة اونتاريو كان يبلغ عدد نفوسها ٢٥،٠٠٠ وهم يعادون الفرنسويين ويُغيرون على احيائهم ويرصدون في الطرق المسافرين منهم ليقتلوهم او يأسروهم وكان المرسلون يفرغون كنانة الجهد ليبشّروا بالخلاص كل تلك القبائل وقد

تجشموا لهذه الغاية اسفارا طويلة في بلاد قفرة وتكلّفوا من الاتعاب ما لا يصفهُ قلم بين بشر متوحشين لا يأنفون من قتل اعدائهم وأكلهم . ولم يكفُّوا عن العمل حتى نصَّروا عدَّة قبائل منهم . وكانوا يتنقَّلون معهم في اسفارهم ثمَّ اقنعوا كثيرين منهم ان يعيشوا عيشة الحضارة ويسكنوا في امكنة ثابتة كقبائل الهورون والألغنكيل فابتنوا لهم بيوتاً يأوون اليها وشيَّدوا لهم كنائس لإقامة فرائضهم الدينيَّة

وكان المرسلون لم ييأسوا من تنصير قبائل الايروكوا لولا سَحَرةٌ كانوا بينهم يُغرونهم بالمرسلين ويثيرونهم على الفرنسويين اجمالاً . فأوقعوا بهم غير مرَّة وقاتلوهم وانما كانوا يترصَّدون خصوصاً المرسلين لزعمهم انهم يهيّجون عليهم غضب اصنامهم فيحرمونهم من المعاش ومن الفوز باعدائهم

﴿استشهاد الاب جوك﴾

الاب اسحق جوك اوَّل من وقع بين ايدي قبيلة الايروكوا . وقد اخبر هو نفسهُ في رسالة لاتينيَّة لرئيسهِ في فرنسة تفاصيل أسرهِ وعذاباتهِ فلا يستطيع احد ان يطَّلع عليها دون ان يذرف الدموع متأثراً وترتجف فرائصهُ هلعاً ولولا طولها في خمسين صفحة لعرَّبناها وادرك القرَّاء ما يقاسيهِ المرسلون في رسالاتهم

كان اسحق يشتغل في تبشير قبيلة الهورون مع بعض الرهبان المرسلين وهم في حاجة ماسَّة لكل اسباب الحياة منقطعون عن عالم الكون بعيدون جدّاً عن اخوتهم فعرض عليهِ الاب جيروم لالمان رئيسه هناك ان يسافر مع بعض المتنصّرين الى مدينة كيبك حيث كانت الحكومة الفرنسويَّة ومركز اليسوعيين الاكبر ليجلب لهم ما يحتاجون اليهِ . ولم يكن رئيسهُ ليأمرهُ بذلك لعلمهِ بالاخطار العظيمة التي تتهدَّد المسافرين وانما رضي الاب جوك بطيب الخاطر متكلاً على الله مستعدّاً للموت . وكثيراً ما كان يطلب في صلاتهِ ان يموت شهيداً فاوحى اليهِ الله ان صلاتهُ قد استُجيبت فما عليهِ الَّا ان يتدرَّع بالصبر

فرحل الاب جوك ورفقتهُ فقطعوا طريقهم في ٣٥ يوماً تارةً في البرّ وتارةً في الانهار الى ان بلغوا كيبك سالمين لم يشعر بهم اعداؤهم . فاخذ الاب بين اخوته الرهبان نصيباً من الراحة وحضر معهم عيد القديس اغناطيوس في نهاية تموز وتحذَّر

أحياء ليتلهوا بتعذيبهم . وكانوا في الليل مع برد كندا القارس يلقونهم على الحضيض ولا يسمحون لهم بان يستروا جسمهم بغطاء ولا ان يداووا جراحهم فكانت ترعاها الهوام فيشعرون بألم لا يُطاق

وكان الاب جوك مع كل هذه العذابات ينسى آلامه المبرّحة ليفكر في رفقته ويوحي اليهم بالصبر الجميل ويذكرهم بآلام فاديهم وما ينتظرهم في الآخرة من الثواب ان احتملوا تلك النكبات الفادحة . وكان اذا رأى احداً منهم مشرفاً على الموت حلّه من خطاياه وساعده في نزاعه . وقد سقط بقربه بعد شهرين الاخ المساعد رينه غوبيل اذ فلق رأسه احدهم بضربتيّ فأس فسقط مضرّجاً بدمائه لاهجاً باسم يسوع الاكرم . وهكذا قتلوا غيرهم من الاسرى وتركوا الرسول وحده ملهاة لذويهم مع كونه قدّم رأسه غير مرة لسيوفهم

وفي شهرَيْ تشرين خرج البرابرة الى الصيد وجعلوا اسيرهم تحت مراقبة شيوخهم وصغارهم فكان يبتعد قليلاً عن مساكنهم اذ يتأمل في الكتاب الوحيد الذي امكنه ان يحصل عليه وكان يستطيع ان يفرّ هارباً منهم لولا خوفه ان يبقى بعض رفقته دون معزٍ ففضّل حياته البائسة على النجاة . وكان في وقت الفراغ يسعى الى درس لغة اولئك البرابرة ليرشدهم فحصل على شيء منها فكان يعرض عليهم امور الدين وينفّر اليهم عبادة الاصنام فلا يسمعون لكلامه

قضى الشهيد في هذه المعيشة التعيسة احد عشر شهراً وكان بعض التجار الهولنديين عرفوا بامره فقدّموا لزعماء البرابرة مالاً ليفتدوه فرفضوا بل زادوا في اوجاعه الى أن وجده يوماً اولئك التجار منفرداً يصلّي فاقنعوه ان ينزل في احد قواربهم فينجو بنفسه . فرأى القديس انه لم يبقَ له سببٌ للبقاء بينهم بعد موت رفقته فتبعهم الى امستردام الجديدة وهي نيويرك الحاضرة وابحر معهم بعد قليل الى فرنسة فانزلوه قريباً من وطنه في بريتانيا عيد الميلاد سنة ١٦٤٤ . فكان ظهوره بين اهله ومعارفه كظهور ميتٍ يخرج من قبره لا يتمالك من يراه من الاندهاش والبكاء لذكر ما تكبده من الآلام . وكان اخوته اليسوعيون في رين وروان وباريس على الرغم من امتناعه يقبّلون جراحاته ويتمنّون ان يذهبوا مثله الى رسالة كندا . وقد طلبت ملكة فرنسة المتولية شؤون الدولة لقصور ابنها ان يواجهها فلما رأته اخذت تذرف

الدموع وجثت لتنال بركتهُ وصرخت قائلة: «انَّ الروائيين يبتكرون كل يوم قصصاً خيالية لا صحة لها وهنا رواية واقعية تفوق على كل الخيالات ببسالة صاحبها وعبقريته»

أما القديس فلم يكن ليحتمل تلك مظاهرات الاكرام فاراد ان يرجع باقرب وقت الى رسالتهِ ليواصل اشغاله مع اخوتهِ. وطلب من الحبر الاعظم اينوشنسيوس العاشر ان يُسمَح لهُ بالتقديس مع يديهِ المشوّهتين فسمح البابا قائلاً: «وكيف نرفض على شهيد المسيح ان يقدّم ذبيحة ملك الشهداء الطاهرة!»

أبحر الاب جوك في أيار في مينا لاروشال راجعاً الى كندا واخذ يسعى الى تنصير قبيلة الايروكوا التي ذاق عذاباتها فلم يقدر على ادراك غاياتهِ. وارسلهُ رؤساؤهُ ثانية الى فرنسة ليهتمّ فيها ببعض شؤون الرسالة والمستعمرة معاً. فقضاها سريعاً وقلبهُ يتوق الى التبشير بين قبيلة الايروكوا التي كان يدعوها «عروسة الدموية»

وما لبث ان عرض عليهِ والي المستعمرة الجديد خلف شامبلان السيد دي مونتاني (de Montmagny) ان يكون سفيراً الى تلك القبيلة المتوحشة لعلّهُ يستطيع ان يجذبها الى مسالمة الفرنسويين. فلبى الى هذا الطلب وتأكد انهُ بهذه الرحلة سيحظى بما يشتاقهُ من نعمة الاستشهاد فقال لاخوتهِ عند وداعهم: «سأذهب ولن اعود» وهكذا كان. فانهُ عند دخولهِ منازل البرابرة عرفوهُ وقبضوا عليهِ واوسعوهُ ضرباً حتى اشرف على الموت. وفي اليوم التالي فلق احدهم رأسهُ بضربة فأس. فاصاب غاية مناهُ. وذلك في ١٨ تشرين الاول سنة ١٦٤٦ وكان عمرهُ ٣٠ سنة وكان يرافقهُ اخ مساعد يُدعى جان دي لالند فنال مثلهُ نعمة الاستشهاد

كان الاب جوك ولد في مدينة اورليان وقضى في رسالة كندا عشر سنين فكان لاخوتهِ وللاجانب مثالاً حيّاً لكلّ الفضائل الرسولية ولاسيما التواضع والغيرة الملتهبة

الآباء الشهداء الخمسة الباقون

لم يكن الاب اسحق الكاهن والمرسل الوحيد الذي فتك بهِ اولئك الهنود الهمج وانما كان استشهادهُ اطول مدةً واشهر خبراً لرجوعهِ الى فرنسة مرّتين بعد عذاباتهِ

الاليمة وليس الخمسة الباقون دونهُ فضلاً وشهامةً

١ ﴿الاب الشهيد انطون دانيال﴾ قُتل هذا اذ كان في خدمة قبيلة الهورون في مركز قريب من مساكن الايروكوا. كان الى الرسالة سنة ١٦٣٣ فخصَّ نفسهُ بتبشير قبائل كندا الوثنيَّة. وتمكن من تنصير عدد وافر من قبيلة الهورون وشيَّد عندهم كنيسة ومدرسة تهذيب صغارهم فقضى عندهم خمس عشرة سنة يقاسي فيها كل انواع الاتعاب من جوع وعطش وسهر وزمهرير برد. يأوي الى كوخ كاصحاب القبيلة. وكان مركز الهورون على تلٍّ مرتفع يسهل عليهم مراقبة حركات اعدائهم. واذا كان رجالهم خرجوا في اوائل شهر تموز للصيد ولم يبق في مقامهم سوى عدد قليل من الشيوخ والصغار فانتهز العدوُّ تلك الفرصة ليقتحم ديار الهورون فاغار عليهم على بغتة. وشعر الاب دانيال قبل الكلّ بقدومهم فتولى كالراعي الصالح انقاذ قطيعهِ من براثن اولئك الهمج فاخذ يتجوَّل في كل المساكن ويحثُّ الجميع على الفرار مباشرًا بالنساء والعجز والصغار فاخرجهم الى مأمن دون ان يفكر بنفسهِ حتى دخل العدوُّ وهو يسدُّ الطريق على الهاربين فما كان منهم إلّا ان رشقوهُ بسهامهم وأطلقوا عليهِ بنادقهم ثم شوَّهوا جثتهُ انتقاماً. فكان موتهُ الشريف اشدَّ فعلاً في قلوب الهورون من كل ارشاداتهِ وارتدَّ كثيرون الى الايمان ممَّن كانوا أصمُّوا قبل ذلك أسماعهم عنهُ. وقع استشهاد الاب انطون دانيال في ٤ تموز سنة ١٦٤٨. كان اصل هذا الاب من دييپ في نورمنديَّة واحد المرسلين الاوَّلين الذين قدموا للتبشير في كندا سنة ١٦٢٣ توفي وهو في الثامنة والاربعين من عمره. وكان هذا الاب شديد الغيرة على خلاص القريب محبًّا لمناجاة الله تائقاً الى تضحية نفسهِ في سبيل الايمان

٢—٣ ﴿الابوان جان دي بريبوف وجبرائيل لالمان﴾ قُتل هذان المرسلان سواء في اواسط شهر اذار سنة ١٦٤٩ بعد أن برَّح بهما الايروكوا. كان الاب دي بريبوف قدم الى كندا سنة ١٦٢٥ وهو اوَّل من افتتح الرسالة بين قبيلة الهورون وفي السنة ١٦٢٩ قبض عليهِ الانكليز وارجعوهُ الى فرنسة على الرغم منهُ. لكنهُ عاد الى كندا بعد معاهدة باريس سنة ١٦٣٣ واستأنف تبشير الهورون فلقي في عملهِ مرَّ الغربة إِلَّا وجدهُ بَيْن اولئك البرابرة من ضروب المحن لكنهُ صبر عليها وربحهم للمسيح فكان عدد المتنصرين منهم سنة وفاتهِ من سبعة الى ثمانية آلاف. ولعلمهِ بعادات

الايروكوا للمسيحيين كان يشدهم الى تحصين ديارهم في وجوهم . إلّا ان العدو فاجأهم ليلًا وهم نائمون في ١٦ آذار سنة ١٦٤٩ فأحرق استحكاماتهم ودخل ديارهم وقتل ونهب. وكان في القرية المدعوّة مار لويس الاب دي بريبوف مع الاب جبرائيل لالمان فلم يشاءا ان يهربا مع الهاربين بل قاما وطافا في المضارب ليمنحا الاسرار المقدّسة قصبنا بالعماد غير المعمّدين ومنحا الحلّ التائبين وحرّضا الجميع على الثبات بايمانهم وهما يبشرانهم بالفوز قريباً بنعمة الخلاص. فلمّا رآهما الايروكوا قبضوا عليهما وحاولوا ربطهما على عمود فخرّ الأبوان على الارض وصلّيا الى الربّ وقدّما نفسهما الى العذاب غير هيّابين. وكان الاب دي بريبوف لا يزال يحرّض المؤمنين على الثبات فهجم عليه البرابرة وحزّوا شفتيه وقطعوا لسانه فكان يحتمل ذلك كأنّه لا يشعر بألم ويحضّ المؤمنين باشاراته. فصبّوا على رأسه ماء حميماً ثمّ ثقبوا يديه بسلّاتهم وحزّوا عنقه وخاصرتيه ثمّ قطعوا لحمه وشووا تلك القطع بالنار فاكلوها ثمّ نزعوا جلد رأسه على شكل اكليل وتركوه في هذه الحالة حتى مات تلك الليلة وعند موته سفكوا دمه وناولوه اولادهم ليشربوه ويقتدوا بصبره

ثمّ اندرأوا على الاب جبرائيل فاوسعوه مثل رفيقه جراحاً ثمّ طوّقوا عنقه بقشر من الشجر الراتينجي فأحرقوها . واطالوا عذابه وهو لم يزل حيّاً الى اليوم التالي فرحمه احد شيوخهم واطلق عليه بندقيّة فمات

وكان كلا المرسلَين اهلًا بنعمة الاستشهاد بفضلها العميم. فالاب دي بريبوف كان رئيس تلك الرسالة ذا فضيلة سامية يشتغل طول نهاره ويحيي الليل بالصلاة وكان ابرز نذراً الزم نفسه بالثبات امام الظالمين لئلّا تفوته نعمة الاستشهاد مهما كلّفه ذلك من الاوجاع. وكان يتقدّم الجميع في معاناة الاتعاب وخدمة اخوته والمتنصّرين حتى في ادنى الخدم وأوضعها

امّا الاب جبرائيل لالمان فكان من أسرة شريفة قضى شبابه ببرارة القديسين ثمّ ترهّب في باريس وعلّم الآداب والخطابة في مدارس رهبانيّته لكنّه فضّل تضحية حياته بين البرابرة سنة ١٦٤٦ فانتقل الى كندا وتعلّم بسرعة لغة قبائل الهورون وتخصّص لتبشيرهم . وقد وجدوا بعد موته في وصيّته تقدمة نفسه وقواه لخلاص الوثنيين والتماسه من الله ان يمنحه نعمة الاستشهاد . فما خاب امله

٤ــ ٥ ﴿الابوان الشهيدان شرل غرنيه ونويل شابنيل﴾ قُتل هذان المرسلان ثمانية اشهر بعد الشهيدين السابقين في الجبال التي تسكنها قبائل تدعى بيتون كان الاب شرل غرنيه اول المبشرين لاهلها فسكن بينهم ثلاث عشرة سنة (١٦٣٣ــ ١٦٤٩) مكابداً في تنصيرهم كل انواع المشقات حتى عزاه الله بقبول قسم كبير منهم انوار النصرانيّة. فجازاه الله بما ناله في خدمتهم من سفك دمه في سبيل الايمان وذلك بغزاةٍ غزاها الايروكوا لمحاربة قبائل البيتون وكان البيتونيّون ذوي بأس في الحرب إلّا انّ العدوّ انقضّ على غرّة فبدّد شملهم وقتل فيهم مقتلة كبيرة. وكان الاب شرل غرنيه يستطيع ان ينجو من شرّهم فلم يشأ الّا ان يبقى مع قطيعه ليساعدهم في بلائهم فلحظة البرابرة وصوّبوا اليه بنادقهم فوقع مضرّجاً بدمه ثم افاق وهو على آخر رمق ورأى واحداً من ابنائه منازعاً فنهض ثلاثاً ليقترب منهُ ويمنحهُ الحلّ من خطاياه فسقط ميتاً

كان اصل الاب غرنيه من باريس من أُسرة عريقة بالتقى وعُرف منذ صباه بحبّه البائسين وعبادته للعذراء مريم التي كان نذر بان يدافع عن حقيقة الحبل بها الطاهر من كل دنس. فأنابته بان يموت في بيرامون عيدها المبارك في ٧ كـ١ ١٦٤٩ . امّا فضائلهُ فقد اتّسع كاتبو سيرته بتعدادها وسموّها . عرض حالهُ غير مرّة للموت في خدمة الطعونين واختبر كل ضروب المحن في تلك المعيشة الخالية من كل راحة بين قوم متوحشين يكادون يعتبرونهُ كأحد عبيدهم فيتحمّل في خدمتهم كل عناء وخشونة عيش

وقُتل الاب نويل شابنيل في اليوم التالي لوفاة الاب غرنيه يوم عيد الحبل بالعذراء مريم في ٨ كـ١ وكان رفيقهُ في رسالته . إلّا ان رؤساءهُ كانوا تقدّموا اليهِ قبل يومين بان ينتقل الى مركز آخر قريب منهُ مع بعض المتنصرين فادركهم الليل في طريقهم بين الغابات وظلّوا تائهين واذا بالايروكوا الذين قتلوا الاب غرنيه مرّوا هناك بجلبة عظيمة . فقام الاب نويل وفكّر قبل كلّ بخلاص رفقته قائلاً لهم : فوزوا بنفوسكم فاني انا لا اعتبر هذه الحياة شيئاً بالنسبة الى حياة البقاء والجد التي لا يستطيع ان يحرمني الايروكوا منها

كان هذا الاب من اقليم تولوز طلب ان يُرسل الى كندا فأتاها سنة ١٦٤٣

ولقي فيها ما لم يخطر على بالهِ من المشقات لكنهُ ثبت على عزمهِ في خدمة البرابرة والعيشة بينهم الى آخر حياتهِ وابرز في ذلك نذرًا ليقطع عن فكرهِ كل تجربة العدوّ. فمات وهو في عزّ كهولتهِ لا يزيد عمرهُ على ٣٦ سنةً

هذه خلاصة اخبار هؤلاء الشهداء الذين مجّدوا الله باعمالهم في الحياة وبموتهم الباسل في سبيل الايمان. وذلك ما حدا بالحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الى ان يُعلن بهم طوباويّين في ٢١ حزيران من العام الماضي. فاستقبل اساقفة كندا وعموم الكاثوليك هذا الانعام بمزيد الشكر واقاموا لذلك مواسم شائقة لذكر هؤلاء الابطال باكورة اولياء الله في اوطانهم. ولا غرو انَّ دماءهم نالت من الربّ بركات عميمة حلّت على بلاد كندا فانها بشفاعتهم بلغت اليوم نجاحاً كبيرًا ماديًا وادبياً. وقد ازدهر فيها خصوصاً الدين الكاثوليكي حتى يُعدّ اهلها حاضرًا في مقدّمة الكاثوليك المتمسّكين في العالم بحبال الايمان المستقيم. فزادهم الله رقيًا ونجاحاً وعليهم معقود الامل برجوع الضالين الى الحظيرة البطرسيّة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصارى في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخباره وديته﴾ هو ايضاً ممّن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 57) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً. كان اصلهُ من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فنّ الطبابة واشتغل بالفلسفة قال

جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزيل مصر يزعم انهُ قرأ على علماء بلده واستوطن مصر وطبَّب بها »

وهناك وجدهُ ابو الصلت امية بن عبد العزيز لمّا دخل مصر سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م) وذكر في رسالته المصرية التي وصف فيها ما رآهُ في ديار مصر من هيئتها وآثارها ومَن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٣)

ودونك ما قالهُ في جرجس الانطاكي كما رواهُ عنهُ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابنُ ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢ : ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكرهُ ويذكر معاداته لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثله الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائهِ . وهذا ما كتبهُ ابو الصلت بحرفهِ الواحد قال :

لمّا دخلتُ الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركتُ بها طبيباً انطاكيًا يسمَّى جرجيس ويلقَّب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغراب ابو البيضاء وللديغ سليم . وقد تفرَّغ للتولُّع بابي الخير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليهِ وكان يزوّرُ فصولاً طبيَّةً وفلسفيَّةً يبرزها في معارض الفاظ القوم وهي مُحال لا معنى لها وزخرفة لا فائدة فيها ثمَّ ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحهُ اغراضها فيتكلَّم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمهِ دون تيقظ ولا تحفُّظ باسترسال واستعجال وقلَّة اكتراث واحتفال (ويروى واهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنهُ ما يُضحَك منهُ »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قوله « انَّ جرجس الانطاكي لُقِّب بالفيلسوف على نحو ما يقال في الغراب ابو البيضاء وللديغ سليم » تهكُّم ظاهر كانهُ لُقِّب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع . ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لنتحقَّق صحَّة قول ابي الصلت فيهِ

﴿شعرهُ﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلُّها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حقّ ابي الخير انهُ لم يكن محقًّا بل متشدّقاً قال عنهُ (طبقات الاطباء ٢ : ١٠٦) : « انهُ كان يكثر كلامهُ فيُضلّ ويُسرع جوابهُ فيزلّ وكان مثلهُ في عظيم ادّعائهِ وقصورهِ عن أيسَر ما هو متعاطيهِ كقول الشاعر :

يشير للّج عن ساقهِ ويذعرهُ الموجُ في الساحل

او كما قال الآخر :

ثمانٍ مائتي فارسٍ فردٌ كمُ فارسٌ واحدُ

وقال ابو الصلت : وأنشدتُ لجرجس وهو احسن ما سمعتهُ في هجو طبيب مشؤوم وانا مُتّهم لهُ فيهِ (من السريع) :

انَّ ابا الخير على جهلهِ يَخِفُّ في كفّتهِ الفاضلُ
عليلةُ المسكينُ من شؤمهِ في بحر هُلكٍ ما لهُ ساحلُ
ثلثةٌ تدخلُ في دفعةٍ طَلعتُهُ والنعشُ والغاسلُ

وقال ابو الصلت : ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيهِ (من الخفيف) :

لابي الخير في العلا ج يدٌ ما تُقصِّرُ
كلُّ مَن يستطبُّهُ بعد يومَين يُقبَرُ
والذي غابَ عنكمُ وشهدناهُ أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينهِ وكلُّ جنونٍ عندهُ غايةُ العقلِ
خذوهُ وغلّوهُ وشدّوا وثاقهُ فما عاقلٌ مَن يَنتهين بمختلِّ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقول وحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقول والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائليها ولعلّ منها ما هو لجرجس الانطاكي فمنها :

قُل للوبا انتَ وابنُ زُهرٍ قد جُزتما الحدَّ في النكايهْ
ترفّقا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايهْ

وقال آخر :

ما خطر النبضُ على بالهِ يوماً ولا يعرفُ ما الماء
بل ظنَّ انَّ الطبَّ دُرَّاعةٌ ولحيةٌ كالقطن بيضاء

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٍ مجرِّبٌ ما لهُ يا م لتُجنح في كل ما يجرّب عادهْ
مرَّ يوماً على مريض فقلنا قرِّعينا فقد رُزقتَ الشهادهْ

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ

﴿اصلهُ واخبارهُ ودينه﴾ هو الاجل الحكم معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ النصراني النسطوري. قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤) : «كان طبيبَ الدولة العباسيَّة في زمانه ويستشار برأيهِ ولهُ الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة. واتَّفقت لهُ سعادة جدّ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ ﻫ (١١١٨ م) »

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ١ : ٢٧٦) : كان متميّزاً (ويروى : متمنياً) في العلوم الحكميَّة ، متقناً للصناعة الطبيَّة ، متحلياً بالادب ، بالغاً فيهِ اعلى الرُّتب ، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب ، كلٌّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب ، وقد رأيتُ بخطّ الاجلّ معتمد الملك يحيى ابن التلميذ ما يدلُّ على فضلهِ . وعلوّ قدرهِ ونُبلهِ ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطبّ ولهُ تلاميذ عدة

﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيى ابن التلميذ طبيباً نطاسياً فقط بل كان ايضاً شاعراً مُجيداً. قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340) : «يحيى ابن التلميذ الحكيم كان يلقَّب معتمد الدولة وكان فاضلاً اديباً وديوان شعره مشهور» . ومنهُ يتَّضح انَّ شعرهُ كان وافراً حتى جُمع في ديوان ولم نجد لهُ ذكراً في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصَّة والعامَّة. وانَّما ذكر لهُ الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي. فمن شوقيَّاتهِ قولهُ نقلاً عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32ʳ) (من البسيط) :

اللهُ ابقاكَ للدنيـا وللدينِ ولا يُخلِيكَ من عزٍ وتمكينِ
روحي بروحك ممزوجٌ ومتَّصلٌ وكلُ عـارضةٍ تؤذيكَ تؤذيني

وله فيها (٤٣٥:٢:٤٤٠) : (من الخفيف) :

أتَيا بالوَصل أيا الفرقـدانِ وأسلَما من صروف هـذا الزمانِ
كم أشتَّ الفراقُ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تصحبـاني
وسيُفضي اليكما عن قريبٍ نَوبةُ البَين ثمَّ تفترقـانِ

وروى له في هـذا المعنى صاحب الايضـاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من السريع) :

بدا الينا أرَجُ القادمِ فبرَّد الغُلَّـة من هـائمٍ (١
روَّح عن قلبي على نأيـهِ وقد يَلَذُّ الطَّيفُ للحالمِ

ورُوي له في النزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :

فراقُكَ عندي فراقُ الحياةِ فـلا تُجبِرنَّ على مُدنِفِ
عَلِقتُكَ كالنار في شَمعها فما إن تُفارِقُ او تنطفي

ومن ظريف اقوالهِ قولهُ في دار جديدة بناها سيف الدولة صَدَقةُ وقعت فيهـا النار يوم فراغهِ من بنائها (من الكامل) :

يا بانياً دار العُلى مُتَلهياً (٢ لِتزيدَها شرفاً على الـكيوانِ
عَلِمَت بأنك انمـا شَيَّدتَها للمجدِ والإفضالِ والإحسانِ
فتقت عوائدكَ الكرامَ وسابقَت تَستقبلُ الاضياف بالنيرانِ

---

١) رواية ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٧٠) : من حاتمِ
٢) ويروى : مُتَأنِّياً . ومتأنيًا

وقال في المنى (من الكامل):

عَلِقَ الفؤادُ (١ على خُلوّ حبّها   عَلَقَ الذُبالةِ في حشا المصباحِ
لا يُستطاعُ الدهرَ فُرقةُ بينهم   إلّا لحينِ تفرُّقِ الاشباحِ (٢

وقرأنا له في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقيّة (من المنسرح):

إرضَ لمن غابَ عنك يكبرهُ   فذاك ذنبٌ عِقابُهُ فيهِ
لو لم ينلْهُ من الجفاء سوى   بُعدِكَ عنهُ لكان يكفيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف):

واذا أنبتَ المُهيمنُ للنملِ م جناحاً   أعدّها للتردّي
ولكلّ امرئٍ من الناس حدٌّ   وهلاكُ الفتى جوازُ التعدّي

وله ايضاً وفيه اشارة منطقيّة (من الكامل):

بئسَ القياسُ فللمَرام قضيّةٌ   ليستْ على نَهجِ الحِجى تنقادُ
منها بقاءُ الشوقِ وهو بزعمهم   عرَضٌ وتفنى دونهُ الأجسادُ

وروى له الدميري في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قوله في تشبيه السمك وضرر النسيم بها (من المتقارب):

لبِسنَ الجواشنَ خوفَ الردى   عليهنّ من فوقهنّ الخُوَذْ
فلمّا أُتيحَ لها أَهلكت   ببرْدِ النسيمِ الذي يُستلَذْ

ومن هجوه ما قاله في مُغنٍّ (الرجز):

---

١) وفي طبقات الشعراء: فَلِقَ الفؤادُ . . .
٢) وروى: لا يستطيعُ الدهرُ . . . تَبلَّجَ الإصباحِ

لنا مَغْنٍ ان شدا تدفِنُنا ثلوجهُ
فموتُنا خروجُهُ (١ وبعثُنا خروجُهُ (٢

وليحيي ابن التلميذ مِدَةُ الغاز بالشعر. من ذلك ما اخبر به عليّ بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدتُ بخطّ الرجل الحكيم معتمد الملك يحيى ابن التلميذ لنفسه لغزًا في الابرة وخيطها (من الوافر):

وفاغرةٍ فماً في الرِجْل منها ولكن لا تُسيغُ بهِ طعاما
ومُخطِفةِ الحشا في الرأس منها لسانٌ لا تَطيق بهِ الكلاما
تصول بشوكةٍ تبدو وسُمٍّ (٣ وما مَن ذاقهُ يَرِدُ الحِماما
تجرُّ وراءها ابدًا اسيرًا كما قادت يَدُ الحادي الزِماما
منيعًا ذا قوًى لكن تراهُ بقبضتها ذليلًا مُستطاما
فتُلقيهِ بمجبسها مقيماً طِوالَ الدهر لا يأبى المُقاما
أيا عجباً لها سوداء خُلقاً تُريك خلائقاً بيضاً كراما
غدَتْ عُرْيانةً عن كلّ لَبْسٍ وفاضِلُ ذَيلِها يكسو الأناما

وقال ملغزًا في قوس رواهُ عماد الدين في خريدته (من الوافر):

وما ذو قامةٍ ذاتِ اعوجاجٍ يَئِنُّ وينحني عند الهِياجِ
لهُ المكرُ الخفيُّ مع التَّمطّي كسُكْرِ الراحِ في القدَحِ الزُجاجِ

وروى له ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٦) لغزًا في الظلّ (من الطويل):

---

١) خروج المغنّي ان يَمُدَّ صوتَهُ في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انهُ اذا فعل ذلك يموت السامعون من قبح صوتهِ ٢) اي اذا خرج عادت الينا الحياة
٣) سُمّ الابرة خرتُها

وشيءٍ من الاجسام غيرِ بجسمٍ   لهُ حركاتٌ تارةً وسكونُ
اذا بانتِ الانوارُ بانَ لناظري   واَمّا اذا بانت فليس يبينُ
يتمُّ اوانٌ كونهُ وفسادهُ   وفي وَسْط مَحياهُ المُحاقُ يكونُ

وللشريف ابي العلاء محمّد بن الهبارية قصيدة مدح فيها يحيى ابن التلميذ وكان ابو العلاء قد اتاهُ الى اصبهان فحصّل له يحيى من الامراء والاكابر مالًا جزيلًا: وفيها يقول:

وجميعُ ما حصّلتهُ وجمعتهُ   منهم وكنتُ لهُ يشتري كاسبا
نُسبى الى الفرج بن صاعدٍ الذي   ما زال عني في المكاسبِ نائبا
لو لا عنايتُ علاه حصّل كلّ ما   أمّلتهُ ونرى فكنتُ الخاليا
يحيى بنُ صاعدٍ بن يحيى لم يزل   للمكرمات الى جنابي جانيا
ما زال يُنعشني نداهُ حاضرًا   وينوبُ عني في المطالبِ غائبا
في باب سيف الدولة ابن بجانها   وكذا نصير الدين كان مخاطبا
كاتبتهُ بحوائجي وهززتهُ   فوجدتهُ فيها الحسامَ القاضبا
ما زال يفرسني يداهُ ولم أزل   بثناءٍ ما بين البريّة خاطبا

ومنها:

لا زلتُ أثني بالذي اوليتني   وعلى المديح محافظًا ومواظبا
وبقيتَ لي ذُخرًا ودمتَ ممتّعًا   بالمجد للأبرارِ منهُ ساحبا
ثقة الخلافة سيّد الحكماء مخدو   م الملوك الفيلسوفَ الكاتبا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليهِ يحيى ابن التلميذ من المنزلة العالية عند الخلفاء وكبار الدولة ثمّ قيامهُ بخدمة الادباء كابن الهبارية. واقامتهُ مدّة في اصبهان. ويحيى ابن التلميذ هو جدُّ امين الدولة هبة الله الشهير بابن التلميذ الآتي ذكرهُ

(لهُ تتمّة)

العمليّة القيصريّة(١)

ورأي المجلة الطبيّة العلميّة فيها

مقدّمة

اطّلعنا في عدد كانون الاوّل من المجلة الطبيّة العلميّة لسنتها الثالثة (ص ٢٨٣ــ ٢٨٦) على مقالة لصاحبها ورئيس تحريرها ذكر فيها توليد الجنين «في الاحوال العسرة» اذ يكون للطبيب «الحقّ في الانتخاب بين حياة الطفل او الوالدة» فذكر آراء الاطباء والعلماء في هذه الحالة وقسمها الى ثلثة اقسام: (القسم الاوّل) يُفتي بوجوب المحافظة على حياة الوالدة ولو كان ذلك بقتل الجنين. او القسم الثاني) ادعاه بفريق رجال الدين وقال عنهُ انهُ «يدّعي ان حياة الجنين اثمن من حياة والدته لان هذا الطفل لم تُعطَ له تقاليد الديانة (كذا) اذ ذلك ليس له الحياة الابديّة في الآخرة ولذا فعلى مذهبهم انهُ يجب المحافظة على ان يولد الطفل حيًّا ولو كان في ذلك خطر الموت على الوالدة وهو مذهب اصبح غير معمول به في ايامنا الحاضرة لانّ الطب عليه ان يحفظ حياة البشر بدون ادنى تدخل في المعتقدات الدينيّة» (كذا). (والقسم الثالث) هم القائلون بعمليّة جراحية دعاها «قطع الفصل التحتي العاني» رآها الكاتب «غير مطابقة كلّ المطابقة للانسانيّة ... خطار تصل حتى الموت».

فبين هذه ... الثلثة قد اختار الكاتب الرأي الاوّل او الآخر ولا يُعيِّر الثاني اعتبارًا الا في ... قلية كما لو كان الجنين وليّ عهد

فلا يمكننا ان نسكت عن فتوى جناب الطبيب في قوله عن الفريق الثاني الذي دعاهُ بفريق رجال الدين كأنّ رجال الدين لا دخل لهم في امر كهذا يتعلق عليهِ خلاص او هلاك احد البشر وكأن رجال الدين هم فقط رجال الاكليروس. وكم من الاطباء ذوي العلم والمعرفة يقولون بقول ارباب الدين! وقد ساءنا خصوصاً قول جنابه «انّ الطب عليه ان يحفظ حياة البشر بدون ادنى تدخل في المعتقدات الدينيّة» فهو قول كثيرًا ما يجري عليه الاطباء الخالون من الدين فيُهملون حياة كثيرين من

(١) نسبة الى يوليوس قيصر الذي استُخرج حيًّا من احشاء والدته

البشر من اطفال وغيرهم بدلاً من ان يحفظوها . وقد استدرك قانون الجزاء العثماني نوعاً جناية اسقاط الجنين (في المادة ١٩٣) فيجازي من يدنيهُ بالكورك الموقت

وقد تكرَّم حضرة صاحب المجلة المشار اليها بوعدنا بانه سينشر آراء الدين والفنّ بهذه المسئلة الخطيرة من كل وجه بكل طيبة خاطر عسى ان يزول عند رغبتنا ووعدهِ الطيف بل واجبه المقدس

وها قد كتب جناب الدكتور امين الجميّل فصلاً في ذلك نعرضهُ على الاطباء والقرّاء ليتخذوهُ عبرةً في سلوكهم
ل . ش

لا تقتل !

(بداعي ما يُكتَب احياناً في الجرائد ويُرتكَب كثيراً في المخادع)

هو نصّ الوصيَّة الالهية وهكذا توحي العاطفة البشريَّة وبذلك تقضي الضرورة العمرانيَّة . ومع هذا فانَّا نرى مَن لا يحفل بالوصيَّة ويدوس العواطف الانسانيـة . والاغرب أن من "نعنيهم" الآن ليسوا من الموسومين بإخوة قـايين ولا يُطلَق عليهم اسم سفّاكين مصيرهم العادل الى المشانق؟ فهم فريق من النـاس لا يُظَنّ بهم الشرّ وربما كانوا على جهلٍ او بعض الجهل او التجاهل فوجب انذارهم لعلَّهم يرعوون وكلامنا نوجّهه اولاً الى الاطباء :

ان من المخاض ما قد لا ينتهي بالطرُق الطبيعيَّة والسلامة لضيق عظام الحوض او لأورام تعترض خروج الجنين من الحشاء . فبعضنا لا يتردَّد في قتل الولد ويضحّي به معتذراً بانه ينظر الى سلامة الام فقط صامّاً أذنيه الى صراخ الوصيـة « لا تقتل » بل الى صوت العِلم الذي يقضي بتوسيع الحوض بقطع غضروف العانة أو بالعمل القيصريّ اي شقّ البطن لإخراج الجنين . وهي عملية عجيبة النتيجة ! ألا وهي تضمن بسلامة الجنين في ٩٩ في الـ١٠٠ وصيانة الأمّ في ٩٨ من ١٠٠ ولادة من نوعها (وهذه الاحصائية دفعها الينا حضرة الحكيم لورنس استاذ التوليد) وأيدها سائر مولّدي العاصمة . . وهذا عمل جراحيّ يمكن تكراره في الولادات التابعة

وبالطبع اننا لا نتكلم هنا عن الحوادث التي يجد فيها الطبيب ان الجنين قـد سكنت حركتهُ وصمتَ قلبه اي مات فيمكنه حينئذ ان لا ينظر في عمله ألا الى

سلامة الاخص فقط

وقبل ان أنتهي من مناقشة اخواني الاطباء الحساب ألفتُ النظر الى امرين فظيعين هما اسقاط الجنين لوَحم صعب شاقّ مستطيل والتعقيم بالاشعّة الكهربائية الجديدة لشفاء او تلافي توقف عسير الشفاء . فكم من مرّة رأينا من قد قُضي عليهنَّ باسقاط جنين ممتلىء حياةً لوَحم شديد يقف عند هذا العمل الذي يأباه الضمير وتزول تلك الاعراض الوَحمية وينتهي الامر بفرح حصول الأُسرة على طفل هو سرُّ كيانها وعلّتها

دُعيتُ من ثلاث سنين لسيدة أُصيبت بنزف مُستطيل قد استعصى على اكثر المعالجات فحكم عليها بتعقيم المبيض بالكهربائية فأبيتُ الخضوع الى هذا الحكم الجائر لقضائه على آمال العيلة بولد يقرّ عينها به . وأشرت بمعالجات جديدة فكان عنها الشفاء . ولهذه السيدة اليوم ولدان هما مسرّة قلبها وعلّة آمال ذويها

وبعد ان ناقشنا الاخوان الحساب نعود الى العامّة . فمنها من يتقفّى اعمال أونان (التكوين ٣٨ : ٩ـــ١٠) فيهرق براقيم الحياة بحيث لا يكون لها فائدة ولا حياة . ويكفي ان نذكرها حلَّ على أونان من غضب الله لمخالفته نواهيهُ . وليعلم تلاميذ هذا التاعس انهم بذلك عُرضة لامراض عصبيّة متنوّعة لا مُتّسع لذكرها

ومنهم، وهم الآن عديدون، من يعمل على طريقة أُطلق عليها اسم «مالتوس» (Malthus) اي تحديد عدد الاولاد . فالخالق أعطاهم حقّ الابداع على مثاله وهم يقتلون المواليد ببعض الوسائل والادوية . تأمرهم العناية بالاتكال عليها فانها تعطي الطير طعامه ونبات الارض غذاءه والنحلَ عسله وهم لا اتكال لهم الّا على خططهم الجهنمية عادّين الولد نقمة لا نعمة

وهذا سرّ نقص عدد الأُسر وانقراض بعض العيال وسير بعض القبائل والشعوب الى الاضمحلال بدليل ان عدد الوفيات زاد بينها على المواليد وتجاوزها

والطبُّ قد أثبت ان لمثل هؤلاء عقاباً أليماً يظهر باحوال عصبيّة وامراض والتهابات واورام خبيثة قد تؤدّي الى الموت

وليسمح لنا القرّاء هنا بذكر العلاج العجيب الذي نوّه بفضله الكاتب الشهير لاقدان من الاكادمية الفرنساوية إذ قال : «ان دواء هذه الآفة ، التي حار في امرها

علماء الاجتماع، انما هو بكرسي الاعتراف لان الحل مربوط على كل من يقيم على هذا الاثم»

وفي مقام مسيحي، كهذا لا بدّ لنا من الجهاد بما صرّح به كثيرون من الذين اقتصروا في زواجهم على الولد الوحيد او العدد القليل رأوا دائماً او اطارئ، كالحرب الاخيرة، قتل ذلك الوحيد او وفاة ذينك الولدين فوت الأسرة وفناء اسمها الى الابد...

وبقي كلمة لا ندحة عنها لاولئك الذين لا يتمتّعون ولا يتزوّجون. فكل مزوبة لا تُبنى على هذا الشرط فهي جريمة. وهؤلاء هم من يسعى الى قتل صحته وفناء سلالته. وما مثلهم الا مثل التينة التي لعنها السيد لانها لا تُثمر

فليرجع كلٌّ منا الى ضميره فلن يكون بعد هذا البيان من القتلة العامدين. وليتّق الله فانه علّام الخفايا شديد العقاب

العاصمة ٢٦ ك٢ سنة ١٩٢٦ — امين الجميّل

الاله العربي مناف

نقر أثري للاب لويس شيخو اليسوعي

في جملة الآلهة التي اكرمها العرب في زمن الجاهلية إله مجهول احتار كتبة الاسلام في تعريفه نريد به الاله مناف الذي لا ذكر له في القرآن وانما استدلّوا عليه باسم احد اجداد نبيهم المدعو عبد مناف. فلمّا ارادوا تعريفه بقوا متذبذبين حائرين كما ترى في كتاب الاصنام لابي المنذر هشام الشهير بابن الكلبي الذي نشره سنة ١٣٣٢ ه‍ (١٩١٤م) الاستاذ الفاضل احمد زكي باشا فانّ غاية ما ذكره هناك قوله:

«وكانت لهم (اي لقريش) ايضاً مناف: فبه كانت تسمّي قريش «عبد مناف» ولا ادري أين كان ولا من نصبه»

وقد ذيّل جناب الاستاذ هذا النصّ الوحيد بالحاشية الآتية نقلاً عن كتاب الروض الانف (ورقة ٣ بدار الكتب الخديوية رقم ١١١ تاريخ):

« قال السُّهيلي في الروض الأُنُف ما نصُّهُ: عبد مناف (من اجداد الرسول كان يلقَّب قمر البطحاء. فيما ذكره الطبري. وكانت امُّهُ حُبّى قد أخدمَتْهُ مناة وكان صنماً معظَّماً لهم وكان يُسمَّى به عبد مناة» ثمّ نظر قُصَيٌّ ابوه فرآهُ يوافق عبد مناة بن كنانة فحوَّلهُ عبد مناف. ذكره البرقي والزُّبير ايضاً ».

ثم نقل من مجموعة الدكتور بولس برونله P. Bronnle: Monuments of arabic Philology قوله :

«امَّا الخُشَنيّ شارح سيرة ابن هشام فقد قال ما نصُّهُ: مناف اسم صَنَم أُضيف العبد اليه كما يقولون عبد يغوث وعبد العزّى وعبد اللات »

وقد نقل صاحب التاج قول ابن الكلبيّ في مناف وذكر بيتاً للمعاء بن قيس ورد فيه اسمهُ :

وقرنٌ وقد تركت الطير منهُ كمعتبر العوارك من منافِ

وقال الطبري في تاريخهِ (١ : ١٠٩٢) : «مناف اعظم اصنام مكّة»

وفي كتاب الاشتقاق لابن دُرَيد (ص ١٠) : « مناف صنم واشتقاقهُ من ناف يَنُوفُ واناف يُنيفُ اذا ارتفع وعلا . . . والنَّوْفُ السَّنام وبهِ سُمّي الرجل نَوْفاً»

هذا كلُّ ما وجدناهُ في كتب العرب عن معبودهم مناف في الجاهليّة فترى انّهُ قليل زهيد لا يشفي غليلاً

وها هوذا اثرٌ جديد يُطلعنا على بعض اموره التي أقرَّ ابن الكلبي بجهلها. بينما كان حضرة الاب سبستيان رونزفال في مخزن التاجر الارمني الاديب صرّافيان قبل ثلاث سنين اوقفهُ هذا على بعض ما عندهُ من العاديّات فلمح بينها نصباً منقوراً في الحجر البركاني القائم في اعلاه صورة الاله مناف مع كتابة في اسفله وعلى جانبيه. فاخذ بالفوتغراف الصورة والكتابة كما تراها هنا (ص ٢٠٠) وقرأ نصّ الكتابة وادرك ما لها من عظم الشأن لتاريخ دين العرب في الجاهليّة

ثمّ بيع النصب المذكور فاقتناهُ المسيو دي لوره مدير المتحف الاثري الاسلامي في دمشق حيث وجدهُ حضرة الاب موترد واخذ ايضاً رسمهُ وقرأ كتابتهُ ونشر ذلك في مجلة «Syria» (المجلد ٦ ص ٢٤٦ ــ ٢٥٢) ووصف ذلك الاثر وصفاً مشبعاً

فقال عن صورة الاله مناف انَّ رسمهُ على طول ٣٤ سنتيمتراً في عرض ٢٠ س عند كتفيه و١٢ س في نتوه وصورتهُ صورة رجل لا لحية له يتحدّر على عارضَيه شعر

رأسه الصناعي المرموز به الى الآلهة الشمسية وحول جنبيه وحدقتيه خطان ناعمان ويزين جيده قلادة كما نرى غالباً في تصاوير الآلهة السوريين. وعلى صدره طيات ردائه. ويرى طرف طيلسانه الالهي الذي ينعطف من كتفه الايسر فيتصل الى الايمن ويُعقد به. اما الكتابة التي في اسفل الصورة فطولها ١١ سنتمتراً والتي على جانبها ٣١ س وحروفها تختلف كبرًا وهذا محتوى الكتابة الوجهية:

أيها الاله مناف (امنح) سعدًا اوفر	Ζεῦ Μα ναφε, μέ[-] γισ[τα τύ-] [ν τύχην]

والكتابة الجانبية تعيد الكتابة السابقة وتضيف عليها كما ترى:

ايها الاله مناف (امنح) سعدًا اوفر	Ζεῦ Μ[άναφ]ε, ε μ[ε]γίστην τὴν τύχην
ابو ممن من إعنات	Β(ι)ούμνο ς Ἰνάθης
الذي عاش بالتقى	εὐσεβῶς βιώσας
قرّب تقدمة (هذا المذبح)	(ἀ)νέθηκε

فهذا الاثر كما يظهر اصلهُ من جهات حوران. والاله مناف المذكور فيه مجهول في الآداب المدرسية وقلما نجد له ذكرًا في الكتابات اليونانية الرومانية وانما ذُكر في كتابة وُجدت في بلاد بانونيا حيث ورد اسمهُ مع احد الآلهة المعبودين في بصرى الدعو تياندريوس هكذا: Dis Patris Manalpho et Theandrio ولا شك في انَّ هناك غلطاً صوابهُ (Manapho) كما اصلحهُ المسيو موردتمان (ZDMG, XXIX, 1875, p. 106) مستندًا الى كتابة وجدها المسيو وادنتون في قرية مغملة حيث ذُكر المسمّى منافيوس (Μανάφι(ο)ς) . وهذه الكتابة الجديدة لا تبقي شكًّا في صحة كتابته

ويستفاد من هذا الاثر الحديث انَّ مناف كان معبودًا من معبودات العرب مكرَّماً في اواسط الحجاز وبين عرب الشام وكان الهًا شمسيًا اي ممثلًا لبعض خواص الشمس المنيرة. ومن الصفات التي تلوح من الكتابة المرقومة على اثرنا انهُ كان يعتبر

كإله مُحسن فيطلب منهُ صاحب الاثر ان يزيدهُ سعداً

ثمَّ ان في اشتقاق اسمهِ سرًّا آخر. فان مناف كما قال ابن دريد اصلها من النَّوف والإنافة اي الارتفاع والعلوّ. فكأنَّهم دعوهُ بهذا الاسم لاعتبارهم انهُ يفوق المخلوقات علوًّا وانهُ ارفع درجةً من بقيَّة الآلهة. والحقّ يقال انَّ الشعوب القديمة كلها كانت مع عبادتها لآلهة مختلفة تعتبر واحداً منها ارفع من سواها قدراً واعظم سلطاناً وقد بقي اثر ذلك في العربيَّة «الله العليّ والله تعالى والله اكبر»

وكذلك في العبرانيَّة يلقَّب الله بعليون (עליון) اي الاعلى (راجع سفر التكوين ١٤: ١٨ الخ) بياناً لارتفاعه فوق كل الكائنات دون الاعتقاد بآلهة سواهُ. على خلاف الامم الوثنيَّة المشركة. لنا على ذلك مثال في اليونانيَّة فكانوا يسمُّون الاله الذي يعتبرونهُ فوق سائر الآلهة باسم (Θεὸς ὕψιστος) اي الاله الاعلى وقد ورد ذكرهُ في كتابات اثريَّة قديمة. بل ورد ايضاً على صورة التأنيث (Θεὰ ὑψίστη) اي الآلهة العُليا. وفي الترجمة السبعينيَّة للاسفار المقدَّسة قد ورد الاسم عينهُ مذكراً للدلالة على الاله الحقيقيّ. وقد جمع فيلون الجُبَيلي على ما روى اوسابيوس بين الاسمين العبراني واليونانيّ هكذا (Ἐλιοῦν ὁ ὕψιστος)

وعليهِ لا يبعد القول بان قدماء العرب دعوا اكبر آلهتهم باسم مناف تفضيلاً لهُ على بقيَّة اصنامهم والدليل عليهِ هنا قدَّم اسم (Ζεύς) عليهِ فجعل الاسمين واحداً

وقد بقي في الكتابة المكتشفة حديثاً اسم الرجل الذي عُني بصنعها فانهُ باليونانيَّة على المرجَّح «[illegible]» فيكون تعريبهُ «ابو معن» وهو عربي كما ترى. قلنا «على المرجَّح» لان الحرف B قد طُمس بعضهُ فلا يُرى منهُ غير حلقته العليا فيجوز ان يقرأ «[illegible]» غير انَّ الاسم على هذه الصورة نادر جدًّا. ويقال في الكتابة انهُ من إعنات. وهي المدعوة حاضراً اعناق وقد زارها في حوران الجنوبيَّة المسيو دوسو وماكلر ثمَّ اصحاب بعثة جامعة برنستون

وهذا الرجل موصوف هنا بتقواهُ وهو يقدّم هذا النصب للاله مناف. وصورة التقدمة شائعة في الكتابات الاثريَّة لا تمتاز عنها. وفي دعائهِ الى الاله يطلب مزيد سَعْد. وكلمة السعد ([illegible]) هنا معناها الحظّ والتوفيق وان كانت تأتي كثيراً بمعنى إلهٍ من معبودات المشركين. وكذلك عند العرب كان «السعد وجاد» من اصنامهم

الكاهن

او

انتقام شريف

روايةٌ تمثيليَّةٌ ذات مقدّمة وثلثة فصول

معرَّبة بتصرُّف عن الروائي شرل بويه

بقلم الخوري مارون غصن

استاذ الخطابة ومدير المحفل الادبي في كلية القديس يوسف

المشخّصون في المقدمة

المركيز دي ترِيادان		ايڤون	خادم
جوفروا ولدهُ (يعمر عشر سنين)		موريس	خادم فتى
اوليڤيه نوربر			

موقع حوادث المقدّمة في قصر روكلور في بريتانية

المشخّصون في الرواية

جوفروا دي ترِيادان	مرسَل	الجمامال	هنديّ
اوليڤيه سبتون		جيتور	اخوه
راوو ستجور	امير سبليور	برهميّ	احد خدمة برهما
ادمون بيرتان	قائد انكليزي	جنود الامير — حشم	
موريس	بحري افرنسيّ		

موقع حوادث الرواية في سنالور في الهند الانكليزية وذلك بعد ١٥ سنة لحوادث المقدّمة

المقدمة — الصديقان

المثّل بهيئة ردهة واسعة، على طراز عصر لويس ١٣ – في المؤخر سرير – في الجهة اليسرى موقد كبير على طراز القصور المتوسطة – في الجهة اليسرى نافذة تطلّ على شرفة (بلكون) – يرتفع (طاولة) مدوّر – كراسي – صور وتماثيل

المشهد الاول: موريس — ايفون

عند رفع الستار يدخل ايفون حاملاً سرجين (شمعدانين) ويضعهما على المرفع – ويدخل موريس بيديه حزمة من دقيق الحطب

موريس آه! يا معلمي ايفون، قلبي يرتجف!

ايفون (هازئاً) من ايّ شيء؟

موريس لِمَ لا يُضيئون هذه الردهة المظلمة الواسعة؟... أصحيح يا معلمي ان ارواح هذه الصور والتماثيل تظهر في الظلام؟

ايفون أفرِخ عليك من جانبي! الى متى تسطو عليك هذه الاوهام؟ عجّل أشعل النار في الموقد!

موريس النار مُوقَدة! أُنظر... ماذا يُريد سيدنا المركيز ان يقضي الساء في هذه الردهة الطويلة العريضة؟

ايفون لقد امسينا – واسفي! – فقراء، فاتّسعت علينا هذه الردهة! (بصوت منخفض) وقد كانت ايام اليُسر تضيق بالساهرين! اجل! كم من حفلة حافلة أُقيمت في هذا القصر قصر روكاور حين كان لنا اصدقاء كثيرون!

موريس (ينهض بعد ان اصلح النار) لا تعجب يا معلمي ايفون

فإنّ الناس منفتّة على من عنده فضّة؛
ومَن ما عنده فضّة فمنه الناسُ منفضّة!
وان الناس قد مالوا الى مَن عندهُ مالُ!
ومَنْ ما عنده مالٌ فمنه الناسُ قد مالوا!

ايفون أجل، صدق الشاعر!... مَنْ قرع الجرس منذ حين؟

موريس هو الشيخ القروي بورني جاء يطلب العشاء والاصطلاء. وهو في هذا المساء سكران فانتهرتهُ وطردته

ايڤون طردتهُ؟... اياك ان تخبر سيدنا المركيز بما فعلت! ان آل ترعادان ما اغلقوا باب القصر في وجه مخلوق... ولو رآك سيدنا الصغير جوفروا لما نجوت من توبيخه!

موريس سيدي جوفروا يسمع الآن ما يقصّ عليه السيد اوليڤيه نوربر من الحكايات القديمة، فهو في هذا المساء لا يفطن لغياب بورني. (صمت) هاك ناري وقد اضطرمت! انظر ما ابهاها!... مسكين بورني... لكنّ السيد اوليڤيه نوربر يعود هذا المساء الى بلدته؛ فاذا صادف بورنيا حملهُ معهُ في مركبته. انظر يا معلمي ايڤون انظر الى ناري!... لو مضيتُ الآن للعشاء؟ فقد اشتدّ بي الجوع!

ايڤون السيد اوليڤيه يبرحنا هذا المساء؟... هو لمولانا المركيز من اخصّ الاصدقاء، فلمَ لا يبقى هنا لحضور عيد الميلاد؟

موريس لا اعلم؛ وقد اعطاني ريالًا! (يُريه لايڤون). تُرى هل السيد اوليڤيه غنيٌّ يا معلمي؟

ايڤون أسفي على هذا القصر! ما كادت تذهبُ ثروة صاحبه، حتى مال عنه الاصحاب!

المرء في زمن الاقبال كالشجره والناس من حولها ما دامت الثمره

المشهد الثاني: المركيز والسابقان

المركيز حسن يا ايڤون؛ دعني الان وحدي

ايڤون ألا أُصلحُ السرير؟

المركيز فيما بعد... (يخرج ايڤون) اما انت، يا موريس فلي معك كلام!... اودّ ان اعرف مبلغ اقتدارك على كتم السرّ

موريس (يبسطه بين يديه يديرها) يعلم سيدي اني للسرّ كتومٌ كتوم!

المركيز ستري!... عليك ان تستيقظ غداً قبل الفجر

موريس (فاتحاً عينيه) قبل الفجر؟!

المركيز نعم ! وتُسرج فرسي شقراء.

موريس مسكينة شقراء ! ستُحرم لذّة نوم الصباح ! (على حدة) وانا ايضاً ! ...

المركيز حسبُك ! تُسرجها وتقرنها الى المركبة الصغيرة ، وتقودها رويداً رويداً الى ساحة القصر ... فهمتَ ؟

موريس نعم ياسيدي

المركيز (ينهض الى النافذة) والآن تمضي الى السلّم وتنقلهُ من الحديقة الى أسفل هذه النافذة وتسنده الى هذه الشرفة ... هنا . وغداً عند الفجر تأتي وتصعد على السلّم من هنا ... وتدفع بيدك خشب النافذة فينفتح ... فهمتَ ؟

موريس ربّاه ! اسرارٌ وأسرار ! نعم اقوم بكلّ ما امر به سيّدي

المركيز ولكن حذار ان يطّلع على ذلك احد ! ... سمعتَ ؟ ... أُريد انْ تكتم هذا السرّ ! (يخرج من جيبه ريالاً) خذ لتزداد حرصاً على الكتم ... واذا استطعت ان تُغلق فمك اعطيتك غداً ريالاً آخر ومنحتك يوم عطلة تذهبُ فيه الى حيث تشاء ؛ أمسرورٌ انت ؟

موريس جدّاً ، جدّاً ! وسيري سيّدي المركيز ان موريس رجلٌ ثقة ! (على حدة) ريالان في يوم واحد ... طِبْ نفساً يا موريس فقد بدأ جدُّكَ يتحرّك !

المركيز هيّا ... وادعُ لي جوفروا

المشهد الثالث : المركيز وحده

المركيز (ناظراً الى موريس خارجاً ، وهو يتبسّم) موريس طيّبُ القلب . ولكن ما عساه ان يظنّ في هذهِ الاسرار ؟ قد تصرّفتُ بحكمة ... كل ذلك لأحمل غداً الى الصكّاك ما تبقّى لي من ثروتي : مائتا الف فرنك ، كلُّ مستقبل عزيزي جوفروا ... آه ! اذا وقع المرء في شقاء اصبح يخشى الوقوع فيه ثانيةً ؛ ومهما بالغ في التحفّظ يرى نفسه مقصّراً

المشهد الرابع : المركيز وجوفروا

جوفروا (داخلاً) دعوتني يا ابي ؟ ... آه ! لو سمعت الحكايات التي قصّها

عليّ السيد اوليڤيه نوربر !...

المركيز تُحبُّ الحكايات كثيراً يا جوفروا ؟

جوفروا نعم وخاصة حكايات الحروب فانها تملأ قلبي حماسة !... آه ! ليتني كنت في تلك العصور القديمة التي سمعتُ الآن أخبار حروبها !...

المركيز لو كنتَ في تلك العصور ما كنتَ تصنع ؟

جوفروا ما كنتُ اصنع؟... (ينظر الى صور أجداد أُسرتهِ المعلقة في جدران الردهة) كنت اصير مثل جدي هذا !

المركيز مثل الكونت الشهير الذي تفتخر تواريخ الحروب الصليبيّة بذكره ؟

جوفروا نعم ! كنت انا ايضاً أسافر الى فلسطين تحت راية الصليب واخوض حروباً تُسطِّر لي في صدر التاريخ أمجد تذكار !

المركيز (بحزن) ويحك يا ولدي العزيز !

جوفروا عجباً منك يا ابي ! لِمَ انت كئيب ؟ اني كثيراً ما ارى الدمع في عينيك !

المركيز انت الآن يا ولدي لا تدري الحياة ما هي... انها مملوءةٌ جهاداً وهمّاً .. لكنك ستعرف ذلك فيما بعدُ حين اكون قد غبتُ عنك... وحينئذٍ !...

جوفروا آه ! لماذا تُردِّد عليَّ هذا الحديث ؟ كأن لا بدَّ يوماً من ان نفترق.. ألسنا نحن سعداء في هذا القصر يا ابي ؟

المركيز بلى يا عزيزي انا في قربك سعيدٌ سعيد !

جوفروا اذن ؟

المركيز ولكن سيأتي يومٌ لا تعود تراني من بعده... سأمضي الى حيث سبقتني امك ، فتُمسي اذ ذاك وحيداً !...

جوفروا لو ان السيد اوليڤيه هنا لأزاح عن قلبك هذه الهواجس... ولكن أما ترى الآن عزيزك جوفروا بين يديك ؟...

المركيز (باسماً) نعم أصبتَ يا عزيزي أصبت... اين السيد اوليڤيه الآن ؟

جوفروا لا ادري. اصحيحٌ انه يُريد السفر الى مكان بعيد ؟

المركيز يقول

جوفروا يا للخسارة! اذا هو مسافر، أفتنقص عليّ يا ابي قصصاً جميلة؟ ان ايفون لا يعرف الّا قصة واحدة وكلما سألته ان يقصّ لي قصةً اعادها عليّ حتى صرت اعرفها من ظهر قلبي

المركيز مسكين ايفون!

جوفروا (ناهضاً) هل يُسَرّ السيد اوليفيه بالاسفار البعيدة؟ آه! سوف ترى يا ابي متى صرتُ كبيراً!...

المركيز تريد انت ايضاً ان تسافر متى كبرت؟

جوفروا لا اعلم. لكني أُريد ان اكون مثلك مُحبّاً للجميع. أُريد ان اكون مثل اجدادي اصنع الخير جهد استطاعتي فلا ادَعُ احداً فقيراً... ولا يعود يوزني الشيخ يحتاج الى الاستعطاء ليعيش... فيصير كلّ الناس سعداء... نعم! سترى يا ابي الحبيب سترى!

المركيز عسى الله ان يُحقّق آمالك يا مهجة الفؤاد!.

جوفروا (مصغياً) وطء أقدام... هو السيد اوليفيه! (مسرعاً اليه) آه! كيف تجدُ من قلبك أن تغادرنا؟ قل قلْ لابي انك عدلت عن السفر!

المشهد الخامس: اوليفيه

اوليفيه ما ألطفك يا صديقي الصغير! (للمركيز) نعم مساء يا سيدي المركيز. هو عزيزك جوفروا أخبرني عنك، فعتب عليه... بدأنا بقصة لذيذة فلم يكن بدٌّ من إنهائها، أما هو كذلك؟

جوفروا ولكنها هي القصة الاخيرة

المركيز ترى ايها الصديق ما يسبّب لك سفرك من الوحشة. (يصافحه)

اوليفيه ما العمل! هي الاشغال تقضي بذلك

المركيز اذن لا بدّ من سفرك الى الهند؟

اوليفيه قد أطلّ المركب، فبعد يومين أركبهُ الى تلك الاقطار الشاسعة

جوفروا الى الهند! هل الهندُ بعيدة؟

اوليفيه (باسماً) بعيدة جداً جداً ولاسيما على خطواتك الصغيرة... أتريد أن

تسافر معي ؟ . . .

جوفروا وأتركِ ابي وحده ؟ لا لا ! . . . ولكن من يدري . . . ربما ألحق بك يوماً فاراك هناك ! . . .

المركيز متى صرتَ كبيراً . . .

جوفروا ربما . . . (سكوت) لماذا تسافر الى الهند ؟

اوليفيه لامور كثيرة ! هناك أجمع فضة وذهباً ولآلئ والماساً

المركيز هناك جنودٌ وبحريون ومرسلون

جوفروا (يصغي ويتأمل في كل كلمة) جنود . . . بحريون . . . مرسلون . صحيح صحيح . في الكتاب الذي اعطيتني اياه قرأتُ عن المرسلين في الهند أخباراً موثّرة جداً .

اوليفيه وهناك أقصُّ قصصاً وحكايات هائلة تخوّف الاولاد الصغار

جوفروا نعم ! لكني في ذلك الحين أكون قد كبرت . . . مَن يعلم ؟ . . .

المركيز إمضِ الان يا عزيزي وانتظر ايفون فانه يتدفأ قرب الموقد هناك . . .

جوفروا (الاوليفيه) سأراك قبل السفر ، أما هو كذلك ؟ عِدْني

اوليفيه نعم . . . نعم . . . كنْ مطمئنَّ البال

جوفروا نعمْ مساء ابتِ . (الاوليفيه) لا تنسَ (يخرج مسروراً)

المشهد السادس : المركيز ـــ اوليفيه

اوليفيه لله ! ما ألطف صغيرك يا سيدي المركيز !

المركيز هو كلُّ تعزيتي وسلواي . (يجلس) قد خلا المكان فهيا نتحدثْ قليلاً . . . لِمَ هذه العجلة في السفر ؟ .

اوليفيه (يمشي مشغول البال) انت تعلم أني رغوب في الحياة والجهاد وتقحّم المخاطر . . . فماذا تشاء ان أعمل هنا ؟ . . . لا شيء هنا سوى إضاعة الوقت سدًى . لا بدّ من السعي وراء المال

المركيز المال ! . . . آه ! لقد ارانا الاختبارُ والشقاء ما قيمة المال الذي يسعى الناس لادراكه . . . اوليفيه انت تعلم هذا وانا أحدثك محادثة صديق ، بل أعاملك معاملة

صديق . . . بربك قل لي من أين لك هذا العطش الذيب الى المغامرة واقتحام الاهوال ؟ . . . أحر بك ايها الصديق ان تفضّل الحياة العيلية في الوطن ، على ركوب الاخطار في بلاد نائية

اوليڤيه الحياة العيلية ! الوطن ! وما نفع البقاء في الوطن اذا لم يكن للمرء ان يعيش فيه عيشاً خصيباً ؟ لا ، ايها المركيز لا يسعني ان أواري نفسي في ظلمات الخمول . أجل ! اني لساع وراء الثروة والفخر ولا بدّ من ادراكهما !

المركيز لا يُمكن كلّ انسان ان يكون عظيماً ولكنه يمكنه ان يكون سعيداً ، وهذه السعادة لا يُعجزك الحصول عليها في مكانٍ أقلّ بعداً ، نعم يا اوليڤيه تجدها في مكان اقلّ بعداً

اوليڤيه (يتوقّف فجأة بعد ان كان يتمشى) أيّ مكانٍ تعني ؟

المركيز هذه السعادة تجدها في باطنك !

اوليڤيه (متبسماً تبسُّم الانكار) في باطني ؟ وكيف ؟

المركيز كيف ؟ . . . دعني أكلّمك بخلوصٍ وصراحة : ان لك يا اوليڤيه نفساً شريفة وانك لذو همّةٍ ماضية . نعم ، وانا عارفٌ بكلّ ذلك ، ولكن ينقصك شيء واحد ، وهذا الشيء يصيّرك رجلاً كاملاً ، أفاهمٌ أنت ما أقول ؟ (بجزم) اذا لم يكن الله في قلب الانسان فلا يمكنه ان يجد السعادة أصلاً ! نعم !

اذا كان غير الله للمرء عدّةً أتته الرزايا من وجوه المكاسبِ !

اوليڤيه اليك من هذا يا سيّدي المركيز ، إنّ المرء يسعه ان يُوسر ويبلغ الفخار ويعيش شريفاً من دون الله ! .

المركيز ان يُوسر ويبلغ الفخار ربّما ، اما أن يبقى شريفاً فلا ! انّ في الحياة ظروفاً شاقّة ، وانت أعرف مني بذلك . . . فمن اين للمرء أن يجاهد إزاءها اذا لم يكن في قلبه مبادئ راسخة قويّة !

اوليڤيه هذا أكيد وثيق ! واني لأمتدح ما عندك من العواطف السامية . . . وربما صرتُ على رأيك فيما بعد . . . أما الآن فالى الامور العمليّة ! فقد آليتُ ان لا أدع باباً أرجو منه الثروة والجاه إلّا فتحتُه !

المركيز (يتبسّم وينهض) هيهات أن أوافقك على رأيك، فما لنا وهذا الجدال. ولكن مهما يكن فأنا اتمنى لك الفلاح يا اوليڤيه والسعادة ايضاً لانك تعلم شدّة حبي لك. وأنا لم اقل ما قلت إلّا لأن بُعدك يؤلمنا، أنتَ يا من ثبتّ لي في محنتي صديقاً أميناً

اوليڤيه لا أنسى أنني كنت ممّن سبّبوا لك تلك المحنة الشديدة... فقد صرفتني في نصف ثروتك... وأنا...

المركيز (متأثراً) بربّك! لا تُعِدْ ذكر ما مضى!

اوليڤيه أصبتَ. ولكن ما يمنعني، اذا ساعدني حسن الحظّ في الهند، أن أردّ عليك جميع ما خسرته بسببي؟

المركيز لك الشكر يا اوليڤيه... ولكن ثِقْ اني ما عدتُ أتشوّق العود الى ما كنتُ عليه من العزّ والثروة... فقد بلغتُ من العمر ما ترى... وجوفروا لا يزال صغيراً... فعليّ ان أفكر فيه... نعم، لم يبقَ لي من سابق ثروتي الّا القليل، لكني أشاء أن ينتقل هذا القليل الى يد ولدي كاملاً كما هو

اوليڤيه نعم، وأنا من أجل عزيزك جوفروا أحثّك على مواصلة السعي والعمل

المركيز لأن أتحمّل شظف العيش أحبُّ اليّ من المخاطرة بمستقبل ولدي... وقد احتطتُ للامر وجزمت ان استودع صكّاً كي الخاصّ جميع المبلغ الزهيد الذي بقي من ملاييني السابقة، أي: مائتي الف فرنك

اوليڤيه (فاتحاً عينيه على حدة) مائتا الف فرنك؟ ثروةٌ لعمري!

المركيز وتلك قيمة لا يُعتدُّ بها قبالة ما كان لاسرة تريادان

اوليڤيه (على حدة) مائتا الف فرنك! آه! لو أنّ لي مائتي الف فرنك! ذلك رأس مالٍ وافٍ. آه! لو ملكتُ بيدي مائتي الف فرنك لكنتُ أربح بها عشرات أضعاف هذا المبلغ!

المركيز (مندهشاً) ما لك يا أوليڤيه؟... بمَ تُفكّر؟

اوليڤيه (مضطرباً متمشياً بسرعة) مائتا الف فرنك... بعد عشر سنين أردّها عليك مليوناً، بل ملايين! فترجع الى هذا القصر أمجادُه السالفة. ويكون اذ ذاك

قد وصل جوفروا الى العشرين من سنّه ، فتمود الاصدقاء تتوافد على قصره . . . (بعُنف) ضع في يدي شيئاً من هذا المبلغ فأردّك من أغنى اهل الارض وأسعد سادات البلاد !

المركيز (بتأنٍّ) بعد عشر سنين أكون قد صرتُ في عالم الاموات . . . بعد عشر سنين اين تكونُ أنت نفسُك ؟

اوليڤيه (هائجاً) خيالاتٌ وهواجس ! مَن سعى رعى ! ومَن جال نال ! أجل ! لا يُعجز الارادةَ عمل ! نعم ! القدرةُ في الارادة ! (على حدة بصوت منخفض) مائتا الف فرنك ! آه ! يكاد عقلي يطير !

المركيز اوليڤيه ، كن مُنصفاً ! . . . هل يسمح ان أغرّر بمستقبل ولدي ؟

اوليڤيه (لم يسمع . . . مضطرباً) يا لهولِ ما تحدّثني بهِ النفس ! . . .

المركيز وقد قلتُ لك اني ما عدت اتوق الى المعالي ؛ حسبي هذا القصر وقد نبتَ العشب على جدرانه ؛ نعم حسبي قصري وولدي جوفروا ؛ وعسى ان يمنّ الله عليه فيكون نافعاً لوطنه ؛ وسأبذل ما تبقّى لي في سبيل تخريجه وتهذيبه

اوليڤيه (بشيء من الهزء) نعم ! حسبُ ولدك ان يُدعى سليل آل ترِيادان ! فالفقر لا عيب فيه ! نعم أصبتَ !

المركيز اذا نزل الفقر بولدي انتظَمَ في سلك الجندية أو مارس الزراعة . . . نعم وذلك افضل له من التشوّق الى المناصب والبقاء بلا عمل !

اوليڤيه (مضطرباً) اذن ترفض مساعدتي !

المركيز بل أرفض المخاطرةَ بآخر رغيف لولدي ؛ وما كانت هذه العاطفة لتخفى عليك يا أوليڤيه !

اوليڤيه آه ! لو تُصغي الى مشورتي ! لو ان لك ثقةً بأوليڤيه لرأيت !

المركيز انا لا أرتاب بصدق نيّتك لكنّ المرء اذا بلغ السنّ الذي بلغتُهُ قلّ إقدامهُ على المخاطر . . . (مبتسماً) فضلاً عن اني جزمتُ بامر لا أعود عنه . غداً صباحاً تكون دراهمي عند الصكّاك ؛ وقد وجد لها محلّاً اميناً . . . واني لأوثر هذا الامر على جميع ما سواه

اوليڤيه (على حدة) غداً ؟ غداً ؟ . . . لا بدّ من الحصول على المائتي الف فرنك !

(للمركيز، متظاهراً بعدم الاهتمام) ليس لي ان اعترض على حكمك ولا ان ألحّ في الطلب . . . لكني شئت ان أظهر شكري وحبي لخير أسرتك

المركيز أشكر لك يا عزيزي اوليڤيه . وانت تعلم ان قصري كان لك في كل حين ملاذاً تلوذ به . واني لأتمنى لك كل فلاح ! وان قلّب لك الدهر ظهر المجنّ فلا تتردّد في الرجوع الينا . . .

اوليڤيه (يقطع عليه الكلام) نعم لا اشكّ في عطفك . . . ولا أبرح معتمداً على حبك . سأعود اليك غداً قبل سفري

المركيز غداً صباحاً لا أكون هنا ؛ وقد أطلعتك على سبب تغيّبي فاسألك ان تكتم الامر كلّ الكتمان اذ لا أشاء ان يدري احد بهذا الامر ، فما من احد في القصر عارف بالمال الذي عندي

اوليڤيه (على حدة) ما من أحد عارفٌ بهذا المال ! . . .

المركيز ولكن يسعك ان تأتي غداً مساء فان جوفروا يُسَرّ بلقائك

اوليڤيه اذن أودعك الآن على أمل الرجوع غداً (على حدة وهو خارج) بل على أمل الرجوع قبل الغد !

المشهد السابع : المركيز وحده مفكراً

المركيز هذا ايضاً واحدٌ ممّن تتقاذفهم الاهواء والمطامع . ما اشدّ ما رأيت فيه من الاضطراب ! . . . مسكينٌ اوليڤيه ! . . . عسى الله ان يوقفهُ عند حافة الهوّة فلا يسقط في قعرها ! . . . لنرَ الآن هل كلّ شيء مُعدٌّ للغد . . . (يشير الى الخزانة) المال هنا في الخزانة . . . حسن . . .

المشهد الثامن : المركيز — جوفروا — ايڤون

جوفروا (مطلّاً برأسه من الباب) ذهبَ ؟

المركيز هذا أنت ؟

جوفروا ذهب ولم يودّعني كما وعد ؟ !

المركيز لا تحزن فانه سيعود

جوفروا متى ؟

المركيز غداً مساء.

ايفون (يدخل ويرقب الزدهة فلا يراه المركيز)

جوفروا حسن ! فأخرج انا وايفون للقائه في مركبتنا الصغيرة

المركيز نعم ، فامضِ الآن الى سريرك ، وصلِّ هذا المساء من اجل صديقك اوليفيه

جوفروا أصلّي من أجل صديقي اوليفيه ؟ نعم ! ومن اجلك ايضاً . نِمْ مساء أبتِ ! الى الغد (يخرج)

المركيز على خير ، ان شاء الله

المشهد التاسع : المركيز وايفون

المركيز انت هنا يا ايفون ؟

ايفون (يهمّ باغلاق النافذة) نعم

المركيز دعها ، فسأغلقها انا . . . اين موريس ؟

ايفون اظنّهُ مضى لينام

المركيز حسن ! فـاذهب انت ايضاً ونَمْ . مساء خير يا عزيزي ايفون ! مساء خير (يخرج ايفون)

المشهد العاشر : المركيز وحده

المركيز كلٌّ أوى الى فراشه . غـداً ان شاء الله أُرتّب كل شيء . وانّ شقراء توصلني الى الصكّاك في أقلّ من عشرين دقيقة ؛ وهنـاك يُقضى العمل حالاً فلا يشعر بغيابي أحد . . . (يُخرج الاوراق المالية وينظر فيها) المبلغ كما هو . عليّ الان ان آخذ شيئاً من الراحة . ارى ان لا حاجة الى نزع ثيابي فما هي سوى بضع ساعات نوماً . . . (يُزيح الرداء ويستلقي على السرير)

المشهد الحادي عشر : المركيز واوليفيه

(تُدفع النافذة شيئاً فشيئاً ، فتنفتح ، وقد بدّ فتزيح الكرسي قليلاً فيدخل اوليفيه حافياً وعلى رأسه قبعة عتيقة من أخلاق بورلي)

اوليڤيه (بصوت منخفض) قد نام · (يزحف ويدنو من المِرْفع ويبحث في الظلام) لا شيء · لا شيء ! (يتقدم الى مُقدّم المسْرَح) تُرى ? آه ! هناك ! (يدنو من الخزانة ويلمس القفل ويخرج الاوراق المالية ، فتحدثُ حركة خفيفة ، فيرتدّ الى الوراء مرتجفاً ويستند الى الحائط ، ويسّلّ مديةً فيسقط من زُنّاره آلة سلاح — يستيقظ المركيز — ويُزيح الرداء)

المركيز (مضطرباً مصغياً) مَن هناك ? مَنْ ? (صمت طويل) هي النافذة !·· آه ! (ينهض ويذهب الى النافذة··· يختبئ اوليڤيه ، وفي اختبائه يحرّك كرسياً) شخصٌ هنا !··· (يتقدّم المركيز فيرى الخزانة مفتوحة ، واوليڤيه الى جانبها منحنٍ ليختبئ) يا لك من لص ! رُدّ حالاً ما سرقت · حالاً ··· الاوراق المالية··· وإلّا طيّرتُ رأسك ! (يحدّق فيعرف السارق) أوليڤيه نوربر ! أعزُّ اصدقائي ! آه ! أُخرج ! أُخرج ! لقد مزّقتَ قلبي··· أنت ? يا للهول !··· إنصرفْ ، انصرفْ حالاً···

(نوربر يرمي الاوراق المالية على المرفع ويهمّ بالخروج من الباب)

المركيز (مُشيراً الى النافذة) لا · من هناك··· اذهب ولا تدعني اراك بعد الآن···(يُغطّي رأسه بيديه ويستند الى السرير) ربّاه !··· ربّاه !···

نوربر (يتردّد لحظةً ، فيقبض على خنجره بهياج عظيم) آه ! ويلٌ لكلينا !··· (ينقضّ على المركيز ويطعنه)

المركيز آه ! إليّ ! إليّ ! (يسقط — يضربه نوربر ضربة ثانية ، ويأخذ الاوراق المالية ويفرّ من النافذة — ضجيج في الخارج)

المشهد الثاني عشر

ايڤون بيده قنديل — موريس بيده شمعة — ثم جوفروا

ايڤون ربي ! ما الامر ? ماذا حدث ?··· قتلوه··· دمهُ صبغ الارض !

موريس (يدخل مضطرباً مسرعاً) ما الخبر ? آه ! واغوثاه ! (يسرع الى النافذة مفتوحةً ، ويرجع وبيده حذاء) قرويّ يفرّ··· هناك !··· الى القاتل ! أدركوه !

ايڤون (منحنياً على المركيز) سيدي المركيز ! سيّدي الحبيب ! (يحيطون به — تشويش واضطراب)

جوفروا (مسرعاً مضطرباً) أبتِ ... أبي ... (ينطرح على جثة ابيه).

ايڤون يا للمصيبة الهائلة ! ...

جوفروا ربّاه ! ... قتلوه ! ... أبي ، أسامعٌ صوتي ؟

موريس هذا الحذاء ! هذه القبعة ... أعرفهما ... هما لبورني ! نعم ! هما لبورني !

المركيز (ينهض قليلاً ، ويطوّق عنق ولده باحدى يديه ، ويجعل الاخرى على يد ايڤون ، ويتلفظ بتلجلج) نوربر ! ... نوربر ! ... (يستلقي الى الوراء) نوربر ! ...

يُوحنى الستار (له صلة)

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني : البحث العاشر

النصرانيّة في بيروت بعد الفتح العثماني (١٥١٦—١٧١١)

كانت النصرانيّة في بيروت عند فتح السلطان سليم الاوّل لبلاد الشام في اسوإ حال . وانّما كان بقي فيها عيال يسيرة من الروم الملكيين ومن الموارنة . لكلتا الطائفتين كنيستها

هذا ما خلا كنيسة الرهبان الفرنسيسيين وهي كنيسة المخلّص التي سبق صالح ابن يحيي فقال عنها انّ الامراء بني الغرب احتلّوها وحوّلوها الى اسطبل وباعوها الى بني الاحمر ثمّ سكنها امراء الغرب العراموئيون . والظاهر انّ الرهبان الفرنسيسيين

لما عادوا الى بيروت في اوائل القرن الخامس عشر ابتاءوها وجدّدوا عمارتها فكان يتردّد اليها التجار الاوربيون لاسيا البنادقة والجنويون

وكان للروم الملكيين في هذه الحقبة اساقفة في بيروت يتولّون شؤون أمتهم ذكرناهم في مقالة خاصّة في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٩٧—١٩٩) نقلًا عن احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة للمقدسي عبدالله طراد البيروتي وهذه اسماء الذين عُرفوا منهم : الاوّل يواكيم بن جمعة البيروتي دُبّر كرسي بيروت احدى عشرة سنة (١٥٣٢—١٥٤٣) ثمّ أُقيم بطريركاً انطاكيًا وتوفي في دمشق سنة ١٥٧٦ كان مائلًا الى الاتّحاد مع طائفته برومية وكتب رسالةً الى اساقفته ينهاهم عن ان يدعوا الافرنج هراطقةً وعن الافتراء على البابا

الثاني اثناسيوس رئيس دير مار سمعان العجائبي الواقع في شرقي قرية بارين شرطنهُ سلفهُ البطريرك يواكيم على كرسي بيروت فاقام في بيروت عدّة سنين ثم توفي

الثالث برثانيوس خوري قرية كسبا سقّفهُ على بيروت البطريرك يواكيم بن زيادة المتوفّى سنة ١٦٠٣ . اقام مدّة طويلة وتوفي في دير كفتون

الرابع يواكيم رئيس دير البلمند من قرية قطيفة خلف برثانيوس متشرطنًا من البطريرك اقثيميوس كرمه . توفي في بيروت بعد ان اقام مدّة

الخامس الخوري يواصف البيروتي شرطنهُ البطريرك افثيميوس الصاقزي المدوّر اقام عدّة سنين وتوفي في طرابلس

السادس الخوري فرح من قرية ايلات في بلاد عكّار شرطنهُ البطريرك مكاريوس ابن زعيم الحلبي ودُعي فيلبوس سنة ١٦٥١ . ومن آثاره انّهُ انشأ مكتبةً عربيّةً في قلاية مطرنيّة بيروت واقام زمنًا طويلًا وتوفي في بيروت . وقد وقّع سنة ١٦٧٣ على تفنيد وجّههُ البطريرك ناوفيطوس ضدّ اشياع كلونيوس كما ورد في كتاب ثبات الايمان لأرنولد (Perpétuité de la Foi, *Migne II, 1248-1257*)

السابع مكاريوس شمعة من رهبان مار الياس المحيته واصلهُ من بكفيا في زمن قنصليّة ابي نوفل الخازن على بيروت . شرطنهُ البطريرك المستعفي ناوفيطوس في طرابلس توفي في بيروت

الثامن سلبسترس البيروتي من بيت الدهّان كان رئيسًا على دير مار الياس المحيته

شرطنة البطريرك كيرلس الخامس سنة ١٦٨٠ كان احد منشئي الرهبانيَّة الحناوية الشويريَّة وكان كاثوليكيًّا غيورًا توفي سنة ١٧١٣

هذا ما وقفنا عليه من اسماء اساقفة الروم الملكيين في بيروت في القرنين السادس عشر والسابع عشر. امَّا اخبارهم واعمالهم فلا نعرف منها شيئاً الَّا انَّهم كانوا مقيمين في بيروت

امَّا اساقفة بيروت الموارنة فلم يذكر منهم البطريرك الدويهي في تاريخه سوى ثلاثة اساقفة الاوَّل يوسف (ص ١٧٥) الـذي سامهُ البطريرك ميخائيل الرزي على بيروت سنة ١٥٧٧ . والثاني يوسف الشامي (ص ٢٥٢) سامهُ البطريرك الدويهي على بيروت في ٢٧ ك٢ سنة ١٦٩١ وتوفي سنة ١٧١٥ . وكان هذا الاسقف استعفى فاقام الدويهي اسقفاً على بيروت جرجسَ خيرالله اسطفان الغوسطاوي مؤسس دير عين ورقة سنة ١٦٩٨ قبل وفاة سلفهِ. توفي سنة ١٧٣٣

ولم يُقِم هؤلاء الاساقفة في بيروت وكانوا كمعظم اساقفة الموارنة ما خلا قبرس وحلب يقيمون بجوار البطريرك في قنوبين ولعلهم كانوا يزورون رعاياهم من وقت الى آخر

امَّا الرهبان الفرنسيسيُّون فكان ديرهم في بيروت عامرًا يُعنَون خصوصاً بخدمة الفرنج المستوطنين في المدينة للتجارة. وفي اخبار الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة انَّ عددهم بلغ الى ثمانية رهبان . وكان ديرهم منوطاً برؤساء الاراضي المقدَّسة في القدس الشريف. وقد ذكر الدويهي (ص ١٤٦) من رؤسائهم على دير بيروت الاب بطرس الفلورنسي الـذي على يده طلب البطريرك شمعون الحدثي التثبيت من البابا لاون العاشر سنة ١٥١٣

واشهرُ منهُ الاب فرنسيس سوريانو الذي ترأَّس على جميع الاراضي المقدَّسة مرتين سنة ١٤٩٣ و ١٥١٢ . وصار رئيساً على دير بيروت دفعتين ايضاً سنة ١٤٨٠ و ١٥١١ وقال الدويهي في تاريخه انهُ لمَّا انتهت ايَّام رئاسته على بيروت سنة ١٥١٥ رجع الى بلاده (ص ١٤٧). وكان هذا الاب قد تعيَّن من الحبر الاعظم كقاصد رسولي لدى الموارنة فشهد للموارنة تمسُّكهم بالامانة المستقيمة

وقد وقفنا على كتابه الذي الَّفهُ عن الاراضي المقدَّسة وعن الشرق (Trattato

di Terra Santa e dell'Oriente) وقد نشره حضرة الاب غولوبوفتش سنة ١٩٠٠ في ميلانو وفيه كلام واسع عن بيروت ومرافقها . وذكر فيها ما عدا كنيسة المخلص كنيستين اخريين شرقي المدينة خارجاً عنها الواحدة على اسم الشهيدة القديسة بربارا وقد اطنب في اكرام اهل بيروت لقامها وذكر عجائبها مع المسلمين والنصارى (ص ١٦٢) وانما انتزع المسلمون هذه الكنيسة من النصارى واتخذوها جامعاً باد اثره مع مدى الزمان. والاخرى كنيسة القديس جرجس المعروفة اليوم بجامع الخضر (ص ١٦٢—١٦٣)

اما كنيسة المخلص فقد اتسع الاب سورياتو في وصفها (ص ١٥٦—١٦١) وعدد الآيات التي كانت تجري فيها . من جملتها اعجوبة سببت ارتداد كثيرين من المسلمين الى النصرانية اذ تفجرت نيران من اخدود بقرب تلك الكنيسة بفعل احد المغاربة الباحث عن الكنوز فالتهمت شخصين نزلا الاخدود طمعاً بالكنوز فبقي الشخصان ميتين في الاخدود ولم يستطع احد اطفاء النار واستخراج الجثتين الى ان دُعي رهبان الدير فرشّا الماء المصلّى واطفآها واستخرجا الجثتين فدُفنتا . هذا ما رواه الاب سورياتو ولم نجد له ذكرًا في غير كتابه والله اعلم

ولمّا كانت السنة ١٥٧١ حارب السلطان سليم الثاني البنادقة وانتزع من يدهم جزيرة قبرس فطُرد البنادقة من مدن تركيا ونُفي الرهبان الفرنسيسيّون بسببهم من بيروت وحوّل المسلمون كنيستهم الى جامع يُعرف اليوم بجامع السراية لقربه منها . ولمّا رجع الرهبان الفرنسيسيّون الى المدينة بعد عدة سنين سكنوا في محلّ آخر قريباً من المينا عند سوق البياطرة ثبتوا فيه الى السنة ١٨٨٣ فانتقلوا الى ديرهم الجديد

وممن احتلّ بيروت من الرهبان في القرن السابع عشر الآباء المرسلون الكبوشيّون فتح ديرهم سنة ١٦٢٦ الاب ادريان دي لابروس (Adrien de la Brosse) . اما اليسوعيّون فلم يكن لهم دير في بيروت وانّما كانوا يسكنون دمشق وطرابلس وصيداء ويتردّدون بيروت لاقامة بعض الاعمال التقوية كالوعظ والارشاد . وكانوا ضيوفاً على الآباء الكبوشيين وفي ديرهم توفي احد رؤسائهم الاب جان اميو (J. Amieu) في ٦ ت ٢ سنة ١٦٥٣ فدُفن عند باب كنيسة مار جرجس الروم

فكان وجود هؤلاء الرهبان المرسلين في بيروت باعثاً لتمزّوج الدين بين الكاثوليك ولارتداد قسم من الروم الاورثذكس الى الكثلكة

ومما زاد في ازدهار النصرانيّة في بيروت في القرنين السادس والسابع عشر تولّي فخر الدين المعني على سواحل الشام فان هذا الامير كما سبق القول كان محبًّا للنصارى وبين حاشيته قومٌ منهم . واذ خصّ بيروت بعنايته واهتمّ بتحسينها وترويج اعمالها رغب المسيحيين في سكناها فكانوا يقصدونها من لبنان ومن داخليّة البلاد فراجت بهم الصناعة والتجارة . قال الدويهي في تاريخه (٢٠٥)

«وفي ايام فخر الدين ارتفعت رؤوس النصارى وعمّروا الكنائس وركبوا الخيل ولفّوا شاشات بيضًا وكرورًا ولبسوا طوامين(١ وزنانير مسقطة وحملوا القسيّ والبنادق المجوهرة . وقدم المرسلون الفرنج وسكنوا الجبل وكان اكثر عسكره من النصارى ومدبّروه وخدمه موارنة»

بل ذهب البعض بانّ الامير فخر الدين تديّن بالنصرانيّة . روى ذلك الاب هيلار دي براتون (٢ قال «انّ الامير أُصيب بمرض عضال فعُني بامره الاب الكبوشي ادريان دي لابروس فشفاه تتنصّر واعتمد سرًّا من يده وذلك سنة ١٦٣٣». واخبر انهٔ لمّا قبض عليه الاتراك واخذوه اسيرًا الى الاستانة وحُكم عليه بالموت تدرّع باشارة الصليب فقُتل ككافر (١٦٣٥م) . وقد نشر سابقًا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٥٤٠ــ٥٤٦) جناب الكاتب المدقق عيسى افندي اسكندر المعلوف كتابًا للمطران يوحنا الحصروني كتبهٔ الى الامير يؤيد فيهِ رأي تنصّرهِ نقلهٔ حضرة الاب قسطنطين الباشا من سجلّات مدينة فلورنسة (تحت رقم ٢٤٧٦)

وقد تعزّزت النصرانيّة في بيروت في القرن السابع عشر باقامة قناصل وطنيّين لفرنسة في ثغرها . وكان اوّل من نال هذا الامتياز الشيخ ابو نوفل نادر الخازن سنة ١٦٦٢ بواسطة المطران اسحق الشدراوي الذي رحل الى باريس (٣ ونال هذه الرتبة من مكارم الملك لويس الرابع عشر وقد ساعدهُ المرسلون اليسوعيّون لنوال النعمة المطلوبة بثنائهم على ابي نوفل . فتولى هذا رتبتهُ السامية الى سنة وفاته ١٦٧٩ . ثم خلفهُ في منصبه ابنهُ الشيخ ابو قانصوه فيّاض بن نادر فتوفي سنة ١٦٩٦ . ثمّ حفيدهُ

١) الكرور مناديل شاش . الطوامين جمع طومان لفظة تركيّة معناها السراويل الواسعة

٢) Hilaire de Barenton: La France Catholique en Orient, p.159-164

٣) اطلب تفاصيل رحلتهِ في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٩٣٩-٩٤٤)

الشيخ حصن بن فياض الخازن تولى تدبير قنصليّة فرنسة من السنة ١٦٩٧ الى موته سنة ١٧٠٧ . فتبعهُ في منصبه ابنهُ الشيخ نوفل بن حصن سنة ١٧٠٨ فطالت مدّتهُ الى ١٧٥٣ وفيها كانت وفاتهُ

فكانت رتبة القنصليّة الممنوحة لاحد اعيان النصارى الوطنيين مع امتيازاتها وحقوقها وتأييدها من الباب العالي من اعظم الاسباب لعلوّ شأن النصرانيّة في بيروت . ويدلُّ على ذلك فرمان همايوني منحهُ السلطان سليم الثاني ابا نوفل يحيل الى عهدته مقاطعات كسروان وبكفيا وغزير (الدويهي ٢٤٢—٢٤٣) وارسل اليه البابا اقليميس العاشر براءة يثني فيها على همّته وتقاه (الدويهي ٢٤٣) وكان البابا اسكندر السابع سبق واكرم عليه «بكافيليرية رومية وبأن يتقلد طوقاً وسيفاً ويستعمل مهاميز من ذهب» (الدويهي ٢٤٧) . وقد ذكر الرحالة الفرنساوي دي لاروك انَّ ابا نوفل كتب تاريخ الامير فخر الدين معن وما جرى في أيامه من الحوادث . وهو اثر جليل طمسهُ الدهر

وقد نشر المرحوم رشيد الشرتوني (ص ٢٤٦ من تاريخ الدويهي) رسالة للسفير الفرنسوي لدى الباب العالي المركيز دي نوانتال وجّهها الى ابي نوفل والى امير درعون نسيبه يمدحها فيها ويشكرهما على حُسن عنايتها بالمرسلين اليسوعيين

ومما وقع في بيروت مدّة الحقبة التي نحن في صددها من الاحداث المؤلمة استيلاء اهل المدينة المسلمين سنة ١٥٧٠ على كنيسة الموارنة التي في ضمن سورها اغتصبوها وجعلوها قيصريّة قال الدويهي (ص ٧٣) :

«فلم يبق للطائفة الّا كنيسة مار جرجس خارج المدينة فاجتمع ابو منصور يوسف بن حبيش مع مشايخ بيت الدحداح (الاوراق كسر : و) اتفقوا على ان تشترك طائفة الروم وطائفة الموارنة في كنيسة مار جرجس التي للموارنة خارج بيروت . وفي كنيسة السيدة التي للملكيّة داخل المدينة»

أما كنيسة مار جرجس المذكورة هنا فكانت قريبة من نهر بيروت في المكان الذي يروي التقليد قتل مار جرجس للتنين . بقيت في ايدي الموارنة الى السنة ١٦٦١ وفيها تعدّى علي باشا الدفتردار على هذه الكنيسة فاخذها وجعلها جامعاً (الدويهي ٢٣٦) يُعرف في يومنا بجامع الخضر

هذا غاية ما عرفنا من احوال النصرانيّة في بيروت في هذه المدّة (لها بقيّة)

مقابلة بين المعمودية المسيحيّة والعماد الماسوني

للقس مبارك صقر الانطوني

كانت النبذة الشهريّة التي عيّنها رؤساء شركة رسالة الصلاة لشهر شباط بإيماز الحبر الاعظم «محاربة الماسونيّة» فبهذه المناسبة أرسل الينا المرمبارك صقر النبذة التالية حيث يقابل بين العمادين المتناقضين المسيحي والماسوني ليظهر الخير اضوأ والنورَ اذا قوبل بالشرّ الاسوأ والاقذر. قال ابو العتاهية :

والخيرُ والشرُّ اذا ما عُدّا بينهما بونٌ عظيم جدّا

١ً اذا دخل طالب المسيحيّة الكنيسة وجدها مضاءةً وفيها الصور تدلّ على الفضيلة والقداسة. وفيها الصليب وعليه المصلوب باسطاً يديه ليتقبّل المُتعَبين والمُثقَلين. وهو يَنعَم الخطيب على ذلك المنبر الجليل يهدي الضالّين الى طريق الاستقامة ويعلّم الحقائق المبلّغة الى السماء — ويدخل طالب الماسونيّة غرفةً مظلمة مغشّاة بالسواد وفيها رموز مرهبة من جماجم وهياكل موتى واسلحة مكتوب عليها عبارات تهديد مخيفة مما يشير الى ان الطالب قد دخل الظلمة وخيّمت على قلبه الهواجس. وهو يشهد على ذلك بجوابه الى رئيس المحفل انه «طالبٌ في الظلام» أجل انه في الظلام الدامس والجهل المُطبق. قد طلسَمَ على عقله واغمضه عن إدراك الحقائق النيّرة فيعتبر الظلمة نوراً والنور ظلمةً

٢ً يدخل طالب التنصُّر وبيده شمعةٌ موقدة دلالةً على انّ قلبهُ ابتدأ يستنير ويتفتح لفهم الحقائق المحيية. ويدخل الماسوني مَقوداً وعلى عينيه عصابة تدلّ على انّ قلبهُ ابتدأ يعمى عن العقائد الموحاة من الله. وليس الاعمى الّا الساقط في حفرةٍ تأوي اليها حيّاتٌ تلدغ ضحيّتهُ وعقارب تنخس قلبهُ وسموم تُميت نفسهُ. فيصدق فيه قول الربّ (يو ٣: ١٥) «انّ النور جاء الى العالم والناس احبّوا الظلمة على النور لان اعمالهم كانت شرّيرة. لان كلّ من يعمل السيّئات يبغضُ النور ولا يقبل الى النور لئلّا تنفضح اعماله. فامّا الذي يعمل الحقّ فانهُ يُقبل الى النور لكي تُظهر اعمالهُ لانها مصنوعة في الله»

٣ يدخل طالب العماد المسيحي فيسأله الكاهن ان يكفر بالشيطان وباعماله وخزعبلاته . ويدخل طالب الماسونيّة فيوحي اليهِ اصحابهُ ان يسير بموجب اهوائه وروح العالم ورئيس هذا العالم ابليس ويقيّد نفسهُ بخزعبلات الماسونيّة من تكريس وعلامات تعارُف وقفز ونطّ وحركات مذلّلة واشارات هزليّة فيصير عبدًا لها

٤ يدخل طالب النور في الكنيسة فيُعطَى الصليب ليحرّره من حبّ الارضيّات ويحوّل نظرهُ الى فاديهِ فيتعلّم منهُ الصبر على الاوجاع وبلايا هذه الحياة . ويدخل الماسونيّ فيوضع فوق رأسهِ السيف يتهدّدهُ بالقتل اذا اعلن اسرار الماسونيّة فيصير مكرهاً على حمل نير ابناء الارملة الثقيل

٥ يدخل طالب الدين المسيحي فيُنضَح عليهِ ماء العماد الطاهر والزيت المقدّس والميرون لتُشفى نفسهُ من جروح الخطيئة . ويدخل طالب الماسونيّة المحفل فيُمتحن بوخز السيف وبسفك الدم وبنفخ النار في منخريهِ وكلّها رموز عمّا يصيب نفسهُ من الجروح الادبيّة التي تنتهي بقتلها

٦ يدخل طالب العماد فيوضع في فيهِ ملحٌ ليستطعم بلذّة الحقائق العلويّة لانّ الملح جيّد ومن شأنهِ ان يمنع فساد اللحم ويحسّن طعم المأكولات كذلك ايمان المسيحي المرموز بهِ من الملح يُصلح آدابهُ ويطهّر نفسهُ من ادرانها ويحفظها للحياة الابديّة . ويدخل طالب الانضمام الى الماسونيّة فيوضع في فيهِ ماء مرّ علقمي ليستكرهُ بعدهُ كلّ تعليم صالح ورأي مستقيم

٧ يدخل طالب العماد فيُفرَض عليهِ بان يجاهر بوجود الله في كل مكان وبكونهِ خالق كل الكائنات هو مصدرها واليهِ تعود . ويدخل الماسوني فيقال لهُ انّ الله اسم بلا مسمّى كاصنام الامم البربريّة او انّهُ هو المادّة وانّ الاله الحقيقي هو الانسان المتحرّر من كل سلطة دينيّة ومدنيّة فيتضخّم فيهِ روح العظمة الكاذبة الذي يلاشي التواضع المسيحي وينقض اساس الفضائل كلها بدعوى الشرف الانساني الذي يجعل الانسان الى عدّة آثام كالانتحار فرارًا من العار وكطلب المبارزة بحجّة الدفاع عن الشرف المهان او تحسينهِ وكالعصيان على السلطة المنظّمة

٨ اذا تنصّر المسيحي وجبت عليهِ المناداة من على السطوح والمنابر بتعليم دينهِ والمجاهرة بهِ وبأسرارهِ فلا يكتم شيئاً ممّا تلقّنهُ الكنيسة بل يُذنب ان لم يفعل . .

«الويلُ لي ان لم ابشر» (١ كو ٩: ١٢) . أما داخل الماسونيّة فيحذّر عليه اباحة شيء من اسرار الماسونيّة وتعاليمها ويُسام اشدّ العقابات حتى القتل اذا خالف

٩ يوصي المسيحي المتنصّر بالصفح والغفران ومحبّة الاعداء والمساواة في الحقوق... «اغفروا يُغفر لكم»... «ان لم تغفروا للناس فأبوكم السماوي لا يغفر لكم»... «أحبوا أعداءكم وأحسنوا الى من يبغضكم»... «انتم كلكم اخوة وابوكم واحد»... «كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي هو كامل». هذه بعض تعاليم السيّد المسيح السامية التي يُفرَض على المسيحي ان يطبّق عليها سيرته واذا مارسها يضحي صورةً للاله السماوي على الارض — أما المتنظّم في الماسونية فيُعلَّم الانتقام من الغير وأخذ الثأر ممّن يراهُ مخالفًا لرأيه. يجاهر بالحرية بلء فيه وهو لا يريد الحرية إلّا لنفسه والاستعباد لكلّ من لا ينقاد الى امره. ينادي بالاخاء وهو لا يريدهُ الّا لذويه في الماسونيّة. يكرّر ذكر المساواة وقصدهُ ان يتساوى الناس تحت حكم الماسونيّة... الفقير والصعلوك والضعيف كلّهم في الكنيسة من ابنائها مثل الملك والامير والسيّد والرئيس «ليس بينكم عبد ولا حرّ بل كلكم في المسيح اخوة» أما المحافل الماسونيّة فلها الرؤساء ذوو السلطة المطلقة ولا يُقبل فيها كاعضاء الّا الخاصة فلا تقبل فقيرًا لانها لا تجد فيه نفعًا لها. تدّعي بالانسانيّة وما انسانيّتها الّا الانانيّة

١٠ تعلّم الكنيسة المتنصّر انّ كلّ سلطةٍ من الله وانّ للبيعة سلطانًا على ابنائها فمن لا يسمع منها يُعدّ كوثني وعشّار . والماسوني يتعلّم ان ينبذ ظهريًا سلطة رؤساء الكنيسة والكهنوت

١١ تكرّر الكنيسة على مسامع المنتمي اليها ان نفسهُ خالدة وانهُ سيقوم امام منبر المسيح ليحاسَب في يوم الدين على اعماله «فيذهب الاشرار الى العذابات الدائمة والصالحون الى الحياة الابديّة» . والماسوني يتعلّم تدريجًا بان خلود النفس قضيةٌ لا اصل لها فالجزاء والعقاب من مخترعات الكهنة ليستعبدوا الناس ويوقعوا الخوف في قلوبهم

فنرجو اصحاب العقول الحصيفة ان يقابلوا بين المسيحي والماسوني وينصفوا. وحسبنا بعد ذلك شهادة ضميرهم المستقيم (١٠٦).

الاداب العربيَّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ادباء المسلمون في هذه الحقبة الثانية (١٩٠٨–١٩١٨)

ادباء مصر المسلمون

﴿مصطفى كامل﴾ كانت وفاتهُ في سنة الدستور التركيّ قبل الاعلان بهِ باشهر في ٨ شباط ١٩٠٨ وهو في الرابعة والثلثين من عمرهِ • ولد في القاهرة في ١٤ آب سنة ١٨٧٤ ودرس على اساتذتها في المدارس الابتدائية والتجهيزيّة والحقوقيّة ثمَّ نال في فرنسة في جامعة طولوز شهادة الحقوق . ثمَّ رجع الى وطنهِ بعد الاحتلال الانكليزي فساءتهُ حالهُ واجتمع بمن رآهم على فكرتهِ ولم يلبث ان تصدَّر بينهم بما ظهر عليهِ من الذكاء والنجابة والإقدام فاصبح خطيب الوطنيّين وزعيمهم لا يأخذه في تحرير وطنهِ والدفاع عن حقوقهِ ملل من السنة ١٨٩٣ الى حين وفاتهِ وقد تشكل بهمّتهِ الحزب الوطني فاصبح رئيسها تُناط بهِ الآمال وتهتزُّ لهُ الجوارح. هذا فضلاً عن شهرتهِ في فنّ المحاماة. وقد وقفنا على المجموعة التي نُشرت فيها سيرتهُ واعمالهُ من خطب واحاديث ورسائل سياسيّة وعمرانيّة وكلّها تدلّ على عبقريّتهِ وحبه الصادق نحو الوطن. وكان اوَّل امرءٍ يحرّر في الصحف المصريّة ومن اوَّل تصانيفهِ رواية فتح الاندلس على عهد طارق التفت اليهِ انظار اهل وطنهِ. وهو في انشائهِ نثرًا ونظمًا لم يقصد تنميق العبارة وتحليتها بالسجع والمحسنات النافلة بل كان جلُّ قصدهِ ان يكون لكلامهِ وقعٌ في القلوب ليحملها الى ما يراهُ من صوالح الوطن بعبارة سلسة سالمة من التعقيد وفاسد التركيب. وهذا نشيد كان من بواكير قلمهِ.

هلمُّوا يا بني الاوطان طرًّا   لِنُرجِعَ مجدنا ونُعِزَّ مصرا

طمُّوا كي نوفي القطر حقًّا ... نساءً فضاع بذاك قدرا
هلمُّوا وادركوا النساء حتى ... تنال بلادُنا عزًّا وفخرا
هلموا واتركوا الشحناء منكم ... وكونوا اوفياء فذاك احرى
أليس بشيننا تركُ المعالي ... تُباعُ بغير وادينا وتُشرى
ونحنُ رجالُها وبها لدينا ... من الإسعاد والخيرات أدرى
فعارٌ أن نعيش بغير مجدٍ ... ونُبصر في السما شمساً وبدرا
وعارٌ ان يكون لنا وجودٌ ... ويحظى غيرنا نوزًا ونصرا
فقوموا واطلبوا للنيل عزًّا ... ولا تبقوا بذلٍّ كي يُسرى
وسيروا نحو هذا القصد حتى ... تُنادوا اجمعين بعزِّ مصرا

ودونك مثالًا من نثرهِ في تربية الاناث وفي التهذيب والتربية الدينيّة

«ويجدرُ بي ان الفت انظاركم عموماً الى امرين خطيرين: اوّلهما تربية البنت لازمة وضرورية لأنها ذات الشأن الاوّل في تربية الاطفال متى صارت امًّا وربيبة عائلتها وهي التي عليها الجزء الاعظم من اعمال هذا الوجود. وثانيهما ان تعليم البنين والبنات العلوم والفنون لا يفيد وحدهُ بل يجب قبل كلّ شيء تربية الروح حتى يصير الطفل متى شبَّ رجلاً شجاعاً عنيًّا بالوطنيّة الحقّة قانتًا بالمبادئ الجنسيّة. وتصير الطفلة متى شبَّت امرأةً رشيدة مدبّرة تعلّم ابناءها محبة البلاد وتغرس في قلوبهم وجوب التفاني في خدمة الامة وفي اعلاء شأن الوطن العزيز. فتكون بذلك المدارس منبع حياة الامة ومصدر وجود جديد. . .

«ويجب قبل كل شيء ان تكون التربية الدينيّة اساس التعليم والتهذيب. فالدين عاصم من الدنايا وازع عن الخطايا معلم للفضائل محبب للكمالات. واذا بحثنا بحثًا مدققًا عن سبب تأخر المسلمين في سائر البلاد لوجدنا الاسباب كلها مجتمعة في سبب واحد وهو اننا ابتعدنا عن الدين وقصّرنا في اتباع اوامره واجتناب نواهيه. . .»

وفي تلك السنة ذاتها فقدت مصر اديباً آخر كان ايضاً من الدعاة الى الاصلاح اعني بهِ ﴿ قاسم بك امين ﴾ المولود سنة ١٨٦٠ والمتوفى في ٢١ نيسان ١٩٠٨ وهو في عزّ كهولتهِ. درس على نفقة حكومة مصر في فرنسة وعاش زمناً بين اهلها فرأى ما للمرأة الفرنسوية من المنزلة الرفيعة في وطنها وما لها من الفضل في تربية بنيها وترقية وطنها. فلما عاد الى مصر بعد درسهِ الحقوق ترقى في كل دوائر الشرع. ثم خصّ نفسهُ بتحرير المرأة المسلمة اذ رأى بانحطاطها والتضييق عليها آفةً على الوطن والتمدن فسبق الى المجاهرة بوجوب رفع الحجاب وباعطاء المرأة الحرية المعقولة وبتحوير سن

الإضرار والطلاق الى غير ذلك مما تسعى اليوم الجمهورية التركية الى اصلاحه بين الاتراك . وقاسم امين عدة تآليف في هذا المعنى كالمرأة الجديدة والمرأة في حكم التاريخ والتربية والحجاب والواجب على المرأة لنفسها ولعائلتها . وانشأ مجلة « المرأة في الاسلام » ولم يكترث لما وجده في مواطنيه من المماكسات وله محاضرات ومقالات عديدة في غير مواضيع . وهو في كل كتاباته يجري جرياً واحداً يتعمّد اقناع القرّاء اكثر منهم خلب عقولهم بطنطنة الكلام وترويق الانشاء . ودونك ما قاله عن الخلاف المزعوم بين الدين والعلم :

« ليس حقيقي بانهُ يوجد بين الدين والعلم خلاف حقيقي لا في الحال ولا في الاستقبال ما دام موضوع العلم هو معرفة الحقائق المؤسسة على الاستقراء . فمهما كثرت معارف الانسان لا تملأ كل فكره . بعد كل اكتشاف يحققهُ العلم يبحث عن اكتشاف آخر وفي غاية كل مسئلة يحلها تظهر مسأله جديدة تطالبهُ بحلها . الآن وغداً يشتغل عقل الانسان بالعلم اي بمعرفة الحوادث الثابتة ولا يمنعهُ ذلك من التفكر في المجهول الذي يحيط به من كل طرف . . . »

وفي السنة ١٩١١ توفى الله عالماً آخر بالحقوق ﴿ عمر بك لطفي ﴾ مولود الاسكندرية سنة ١٨٦٧ تلقى العلوم في مدرسة اخوة المدارس المسيحية ثم دخل مدرسة الحقوق في القاهرة ونال شهادتها بل برع في فنونها حتى انتدبتهُ الحكومة للتدريس فيها . ثم تفرّغ للمحاماة وخصّ نظرهُ بالاقتصاد فعُرف كاحد مصلحيه وصرف نظرهُ للزراعة وظهرت ثمار سعيه في مشروعات وملّه لمصلحة الأمة الاقتصاديّة او الاجتماعيّة وانشأ لذلك الاندية والنقابات ونشّط دروسها في الشبيبة فأدّى بذلك لمصر خدمات مشكورة ساعدت على رقي قطر النيل

وكان عمر بك لطفي من ارباب الكتابة ألّف عدّة تآليف في شرح المواد القضائيّة وفي الامتيازات الاجنبيّة . وله في الافرنسيّة ايضاً تآليف مختلفة في الشرع الاسلامي كالدعوى الجنائيّة في الشريعة الاسلاميّة وحقوق المرأة فيها . وقد رثاهُ امير شعراء مصر شوقي بك بقصيدة فريدة اوّلها :

اليومَ أُصعِدُ دون قبرك منبرًا ... وأقلّد الدنيا رثاءَك جوهرا

وأسفت الصحافة المصرية في السنة ١٩١٣ على فقد احد اربابها المتازين الاستاذ الشيخ علي الي يوسف الازهري . وُلد سنة ١٨٦٣ ودرس اللغة والفقه في الجامع

الازهر ثمَّ احسَّ بميل للآداب فتمرَّن عليها ونظم الشعر فنشر ديوانهُ نسمة السحر . وفي السنة ١٨٨٥ انشأ مجلَّة علميَّة ادبيَّة سمَّاها الآداب ثمَّ عدل بعد مدَّة عنها الى جريدة المؤيد السياسيَّة حرَّرها سنين طويلة واكسبها بقلمه شهرة واسعة ونفوذًا عظيمًا حتى عُدَّ كرئيس الصحافة الاسلاميَّة في القطر المصري وبلغ لدى كبار الدولة مقامًا معتبرًا بعد تذليله كل العقبات التي صادفها في سبيله . ومن ظريف شعره وصفهُ للربيع :

أَنحُ نحو الرياض عند صباحٍ ... طاب فيها الورودُ للظمآنِ
واقتطف زهر وَرْدِ خدٍّ بطاحٍ ... رقَّ فيها ملاعبُ الغزلانِ
وانظر الماء اذ يسيل بلطفٍ ... في وهادِ الرياض كالوسنانِ
يلثمُ السوقَ من غصونٍ قدودٍ ... هائمًا بالقدود والاغصانِ

ولهُ في الفخر :

يُشير لذُرْوة العليا بناني ... ويثني الوصولَ لها زماني
ولي هِمَمٌ تسمو الى الثريَّا ... وحظٌّ بالثرى رهن التداني
ولي نفسٌ تعافُ الضيمَ وردًا ... وما نفسٌ شيمةٌ تزري بشأني
ولي عند الحوادث سيفُ صبرٍ ... يذيب فرندُهُ الحدَّ اليماني
ولي عهد الشبيبة عفُّ نفسٍ ... تنفُ من امثالِ في كل آنِ
أقارنُ بالملا أملي ولكن ... يتارُ بيَ الزمانُ على قراني
وكم اشكو زماني لليالي ... وكم اشكو الياليَ للزمانِ
فيسمعُ قصتي هذا وهذا ... وما هذانِ الا ساحرانِ

وممَّن اصابتهُ المنيَّة في السنة ١٩١٤ ﴿ فتحي باشا زغلول ﴾ من ائمَّة العلوم الشرعيَّة واحد الكتبة الاجتماعيين في مصر . كان مولدهُ سنة ١٨٦٣ وبعد دروسه الابتدائيَّة والثانويَّة في وطنه تمم دروسهُ العليا في فرنسة ثمَّ خدم وطنهُ بالقضاء ونظارة الحقَّانية وبعدَّة تآليف خلَّفها من آثار قلمه بعضها في الشرع كشرحه للقانون المدني وكتاب المحاماة وكتعريب اصول الشرائع وبعضها اجتماعيَّة نقلها من الفرنساوية كسرّ تقدُّم الانكليز السكسونيين وكسرّ تطوُّر الامم وروح الاجتماع وخواطر

وسوانح في الاسلام

وتوفي قبلهُ في السنة ذاتها ١٩١٤ في اواسط كانون الثاني عالم آخر بالعلوم القضائية في مصر ﴿محمد بك النجاري﴾ اضاف اليها انصبابهُ على الدروس اللغوية. ومن آثاره الجليلة قاموس فرنساوي عربيّ في خمسة مجلدات ضمّنهُ كثيراً من المصطلحات العلميّة والسياسيّة والطبيّة ولهُ معجم آخر عربي يحتوي خلاصة المعاجم العربية الكبرى لم يُنشر بالطبع

وفي السنة والشهر السابقين كانت وفاة اديبة مسلمة شيعيّة ﴿زينب فوّاز﴾ صاحبة «الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور» نقلنا عنهُ في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ١٠٨ـــ١١٤) ترجمة جان درك. ولها ايضاً رسائل منسوبة اليها تعرف بالرسائل الزينبيّة

وممّن توفاهم الله في السنة عينها ١٩١٤ اديبان مصريّان لهما بعض الآثار الكتابيّة اولهما ﴿الشيخ احمد مفتاح﴾ مؤلف رسائل تلوح فيها لوائح البلاغة كقوله يستدعي بعض الادباء الى مواجهته من رسالة :

«. . . اني وان لم أكن أسعدتُ من قبل بإجتلاء طلعتك الزاهرة واجتناء مفاكهتك النضة فقد دلّني على الليث زئيرهُ وعلى النهر خريرهُ وعلى السيف صوممهُ وعلى الفضل أثرهُ. ولئن لم يجمعنا لحمة النسب فقد جمعتنا حرفة الادب او لم يضمّنا قبيلٌ مرتبع فالطيور على اشكالها تقع وشبه الشيء منجذب اليهِ واخو الفضائل هو المعوّل عليهِ وهذه الرقعة وان وصفتْ لك بعض ما انا مطويّ عليهِ من التهافت على رؤيتك والميل الى صداقتك فقلما تنوب عن المشافهة او تقضي حاجاتٍ في النفس طالما تردّد صداها. وفي ظني انّ سيدي يودّ ما أودّهُ وعمّا قليل يُسفر صبحُ اللقاء وتتجاذب اهداب المعرفة ويرى من سيدي فوق ما توسّمتهُ وسمعتهُ ويرى مني ما يُرضيهِ والسلام

والثاني ﴿احمد افندي سمير﴾ اشتهر ايضاً بمكاتباتهِ للاصحاب. فمن قولهِ يجيب ما سبق للشيخ احمد مفتاح في التعارُف والتوادّ :

«يعلم سيدي ان المودّة لا تُباع ولا تُشرى وانما هي نتيجة الاجتماع والتعارُف وقد خُلق الانسان مفطوراً اليها لان انتظام العمران عليها موقوف. ولهذا شهد البيان بان المتفرد بأعماله المستبدّ بآرائهِ عرضةٌ للخطأ مظنّةٌ لعدم الثقة. . . اذ لا جرم انّ المرء كما قيل «قليل بنفسهِ كثيرٌ بإخوانهِ» وقد سمعتُ عن السيد وقرأت من آثارهِ المأثورة ما حبّبهُ اليّ وشاقني التعرّف بهِ للتشترك في منفعة تبادل الافكار. . .»

وقد اغتالت المنيّة في وقت الحرب الكونيّة بسنة ١٩١٧ احد الادباء اللغويين الاستاذ الجليل ﴿حمزة فتح الله﴾ كان في مصر مفتش اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية. توفي ضريراً وله تآليف شتى بالنثر والنظم ونشر في جرائد الاسكندرية المقالات المتعدّدة وكان يحبّ ان يرصف كلامهُ بالالفاظ الغريبة دلالةً على سعة معارفه بمفردات اللغة. ودونك مثالاً من بعض رسائله في الشوق

«مولاي أمّا الشوق الى رؤيتك فشديد وسَلْ فؤادك عن صديق حميم ' وودّ صميم ' وخلّة لا يزيدها تعاقب المَلَوَين وتألّق النيّرَين إلّا وثوقاً في العرى ' وإحكاماً في البناء ' وغناء في التراس ' وتشييداً في الدعائم. ولا يَظُنّنّ سيدي انّ عدم ازدياري ساحتهُ الشريفة ' واجتلائي طلعتهُ المُنيفة ' لتقاعس او تقصير ' فانّ لي في ذلك معذرة اقتضت التأخير ' والسيد اطال الله بقاءهُ أجدَرُ مَن قَبِلَ معذرة صديقهِ. . . وبعدُ فرجائي من مقامكم السامي ان لا تكون معذرتي عائقاً لكم عن زيارتي فلكم بيتاً طوّقتموني بها ولكم فيها فضلُ البداءة وعليّ دوام الشكران والسلام»

هذا مجمل ما وقفنا عليه من اخبار ادباء مصر في هذه الحقبة الثانية الى اواخر الحرب الكونية (لهُ بقية)

مطبوعات شرقيّة جديدة

Arens (Bernard) s. j. : Handbuch der kath. Missionen, 2de éd. complétement retravaillée avec 101 tables de statistiques et un graphique, *gr. in-8°, XX-330 pp.* 1925, *Freiburg i Breisgau, Herder et Cie, Prix 26 Marks*

دليل الرسالات الكاثوليكية

ان ترقّي الرسالات الكاثوليكيّة الدائم في كل اقطار المعمور دعا حضرة الاب أرِنس اليسوعي الى اعادة كتابهِ الشهير في هذا الموضوع مع انهُ طُبع حديثاً. وها هوذا قد زاد على طبعتهِ الاولى مئة صفحة وزيّنها باللوائح والاحصاءات الرسميّة وكل المعلومات التي من شأنها ان توقف القرّاء على اعمال المرسلين في سائر المعمور. ويا ليتهُ ينقل هذا الكتاب المشحون بالفوائد المدقّقة من الالمانيّة الى اللاتينيّة لتعمّ فوائدهُ العالم الكاثوليكي باجمعهِ

ج. ل

البيّنات في الدين والاجتماع والادب والتاريخ

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

الجزء الاوّل . القاهرة ١٣٤٤ المطبعة السلفيّة (ص ٢٨٢)

هذه ٤٢ مقالة مما جادت به قريحة احد اساتذة الشام المعدودين الشيخ عبد القادر المغربي . وقد عالج جنابهُ مواضيع شتى من دين واجتماع وادب وتاريخ . وقد وجدناهُ غالباً متزناً معتدلاً ذا علم وذوق . وكثير من هذه المقالات مدارها على الاسلام ودينهِ وآدابهِ فسرّنا انَّ جنابهُ يعرض خواطرهُ دون تطرُّف ومع حبه لدينهِ ينزَّع عن التعصُّب الذميم . وربَّما لا يوافقهُ على بعض آرائه قومٌ من ارباب دينه كقوله مثلاً عن ترجمة القرآن من العربيّة الى سواها (ص ١٠٨) وعن الخلافة (٧٦) . امَّا ما كتبهُ عن الزواج في عُرف بعض الكتبة النصارى فهو لا يستحقّ اعتباراً لان هؤلاء الكتبة ليسوا على الدين من شيء . فهم نصارى بالاسم فقط فلا تستحقّ آراؤهم ادنى اعتبار كما لا يعتبر جناب الشيخ كمسلم صادق من لا يوثق بعلمهِ ودينهِ ل . ش

Dolger (Dr Fr.): SOL SALUTIS. Gebet u. Gesang in christl. Altertum. 2te *Auflage, gr. 8°, XI-445 mit 2 Tafeln in Lichtdruck, Münster i. W.* 1925 *Aschendorf'sche Verlagsbuchhand. Prix* 17, 25.*M.*

بحث في تسبحة الكنيسة «يا شمس الخلاص»

في الكنيسة اللاتينيّة في فرض الصبح لزمن الصوم الكبير تسبحة اوّلها (O Sol Salutis) «يا شمس الخلاص» يتعلق عليها مسألة كثيراً ما بحث فيها الكتبة وهي اتّخاذ النصارى في صلاتهم ومعابدهم قبلة الشرق كرمز الى السيّد المسيح . فاراد البعض ان المسيحيين اخذوا هذه العادة من الوثنيّين الذين كانوا يعبدون الشمس قبل المسيح وقال غيرهم انَّ الكنيسة هي التي وضعت لابنائها جهة الشرق كقبلتهم . امَّا مؤلف هذا الكتاب فرأيهُ انَّ الكنيسة كانت اذا رأت هذه العادة جارية في بعض البلاد حفظتها وحوَّلتها عن معناها الوثني الى صورة مسيحيَّة لان المسيح يدعى شمس

العدل والنور الآتي الى هذا العالم ويلقَّب باسم الشرق . اما البلاد الجاهلة لتلك العادة فهي ادخلتها فيها . ولم تزل حتى اليوم جارية عليها على قدر الامكان في ابتناء الهياكل لاسيّما في الكنائس الشرقيّة المتّجهة الى الشرق . وما لا يُنكر ان النصارى لم يأخذوا القبلة الى الشرق من اليهود الذين كانت قبلتهم هيكل اورشليم الذي خرب في القرن الاوّل للنصرانيّة

للاب ي . ديلنسيغر

Gatterer (Michel) S. J.: Annus Liturgicus cum introductione in disciplinam liturgicam, *Ed. 4a emendata, Innsbruck, F. Rauch*, 1924

السنة الطقسيّة

للطقوس الكنسيّة شأن كبير في الحياة المسيحيّة ولذلك قد تعدّدت التآليف الطقسيّة في عهدنا . وكتاب السنة الطقسيّة للاب غاتّرد اليسوعي قد راج خصوصاً رواجاً عظيماً حتى اعيد طبعهُ اليوم للمرّة الرابعة وهو يتناول كلّ المواد الطقسيّة التي يطلبها الكهنة وارباب المدارس الاكليريكيّة وذلك في قسميها الكبيرين النظري والعملي فبعد ذكرهِ لاصول الطقوس وقوانينها ينتقل الى الاعياد الثابتة والمتنقلة ويبيّن تاريخها وخواصّها ليدرك المؤمنون معانيها ويذوقوا محاسنها ج . ل

Eduard Meyer: Die ältere Chronologie Babyloniens, Assyriens und Aegyptens. Nachtrag zum 1sten Bande der Geschichte des Altertums. *Stuttgart, Cotta*, 1925, *IV-70 pp.*, 8°

تاريخ البابليين والاشوريين والمصريين القديم

المستشرق الالماني الشهير ادورد ماير تاريخ قديم بلغ جزؤه الاوّل الطبعة الثالثة سنة ١٩١٣ . واذ لا يعلم أيسمح له الزمان بتجديدهِ واصلاحهِ تدارك الامر بهذا الملحق الذي ضمّنهُ تاريخ ملوك الشرق وتوالي سني ملكهم مكمّلاً ما نقص في الجزء المذكور ومصلحاً ما وقع فيهِ من الغلط . والقسم الأخير من هذا الملحق اوّلهُ وفيهِ تاريخ سلالات بابل واشور الملوكيّة اصلحهُ وكمّلهُ استناداً الى الآثار الجديدة التي نشرها علماء اوربة واميركة ولاسيما ما اكتشفهُ الالمان في حفريات اشور التي واصلوها في اوائل الحرب الكونيّة ثمّ نشروها في هذه السنين الاخيرة فهذه الآثار

التي يطول تعدادها قد كشفت القناع عن امور كثيرة من اخبار بلاد الكلدان وما بين النهرين واشور والمالك الحثيّة ومن اصل كل دولة وسلالاتها المختلفة الى نحو السنة ١٥٠٠ قبل المسيح. فانّ جدول ملوك اشور يرتقي الى الالف الثالث قبل الميلاد. وفي سلسلة ملوك بابل قد نُظمت اسماء ملوك معدودين بين اساطير القدماء قبل الطوفان وبعده كتموز وجلجامش. امّا القسم الثاني الذي يبحث فيه الدكتور ماير عن تاريخ الدول المصريّة فانّه ينقد فيه آراء الدكتور بورخرت الذي زعم انّ السلالات المصريّة القديمة اقدم ممّا روى الدكتور ماير نحو السنة ٦٦٠٠ ق م. وهذه مسائل دقيقة يصعب حلّها. وعلى كل حال ما كنّا لننتظر من الدكتور ماير ان يقدّم مبادئ الحضارة المصريّة على الحضارة الاشوريّة وادهشنا قوله بان الكلدان لم يأخذوا فقط من المصريّين استعمال الاسطوانات كختوم بل اصل كتابتهم ايضاً. فترى كم هي عويصة هذه المسائل المريبة بالقدم

الاب سبستيان رونزفال

H. Lehner: Orientalische Mysterienkulte in roemischen Rheinland. *«Bonner Jahrbücher»*, 129. 1925, *pp.* 36-91.

الديانات السرّيّة الشرقيّة في اقطار الرين الرومانيّة

هذا درس مهمّ لتاريخ الديانات الشرقيّة ونفوذها في الاديان الغربيّة على عهد الرومان. فان مؤلفه لهذا كاتب اسرار جمعيّة محبي آثار اقطار الرين والاستاذ في جامعة بون نشر في اعمال جمعيّة عاشرة كان اتمّها سنة ١٩٢٩. ضيفاً اليها عدّة معلومات عن الاديان السرّيّة الشرقيّة التي راجت في تلك البلاد مستنداً الى ما يعرف من الكتابات الحجريّة وغيرها الى يومنا من هذا الموضوع. وقد اصطنع لها جدولاً مدقّقاً في ٢٣ صفحة يبلغ ٣٠٩ اعداد. ومن المعلوم انّ اهل الشرق قبل تاريخ الميلاد سكنوا لغايات شتّى بلاد الغرب وقد زاد عددهم بعد الفتح الروماني على حسب الظروف. وقد كثر ايضاً بينهم الجنود الشرقيّون حتى الضبّاط وذلك خصوصاً منذ القرن الثاني بعد المسيح كانوا يكتتبون في جيوش رومية ويسكنون اقاليمها فيعيشون مدّة فيها وربّما ماتوا هناك. فلا عجب انّهم ابقوا في بلاد الغرب آثاراً من اديانهم. لا بل كانوا باختلاطهم مع الجنود الغربيّين يحبّبونهم تلك الاديان وممارسة طقوسها السرّيّة حتى اصبحت اديان الغرب مزيجاً من اديان الشرق والغرب. فالاستاذ لهنر

خصّ اجانة من هذا القبيل ببلاد جرمانية الغربيّة وبلجكا وهولندة وسويسرة الغربيّة والالزاس فيستقري الاديان الشرقيّة وآثارها في تلك البلاد وخصوصاً ديانة قيال (الوالدة الكبرى) واتيس الفريجيّة. وماباُونة القبادوقيّة وسيرابيس وايزيس ثم اديان سوريّة كجوبتير الدوليخاني وجوبيتر البعلبكي واديان ميثرا وسبازيوس والبطل الخيّال التراقي الخ. واستنتج من ذلك انّ الاديان الشرقيّة رقّت نومان الاديان الشائعة في جهات الرين بما اوحت اليها من ذكر عالم آخر كانت تلك الاديان تصرّح به في اسرارها. ومّا نوافق عليه الاستاذ لهتر انّ النصرانيّة لم تستمدّ شيئاً من هذه الديانات الباطلة. وسنعود ان شاء الله الى هذا البحث في مجموعة الآثار الشرقيّة (MUSJ)

الاب سبستيان رنزفال

Willy Theiler. Doc. phil.: Zur Geschichte d. teleologischen Naturbetrachtung bis auf Aristoteles. *Gr. 8°, IX-104 pp.* 1925, *Orelli Füssli., Zürich u. Leipzig*

غاية الكائنات النهائيّة في العالم الطبيعي

هذ مبحث فيلسوفي دقيق عالجهُ العلماء منذ عهد ارسطاطاليس الذي خصّ هذا الطلب بنظرهِ. فمؤلّف هذا الكتاب يبحث عن فكر ارسطو كيف اتّصل اليهِ بعد الفلاسفة الذين سبقوهُ كانا كساغوراس وديوجانس الابولوني وكسينوفون وافلاطون فأسّسهُ واثبتهُ بعدهم فصار تعليمهُ من هذا الوجه كدستور الفلاسفة الذين اتوا بعده. وهو يشرح ذلك بكلام واسع الّا انهُ مغلق عويص في بعض الامكنة لما ادخل فيهِ من الالفاظ اليونانيّة ومزجها بتنهِ

الاب يوسف دبانسيغر

Palestine Museum of Antiquities. Guide of the Exhibition of Moslem Heraldy in Palestine. *The Departement of Antiquities Jerusalem.*, 1926, 8 *pp. in-8°*

متحف عاديات فلسطين – الشارات الشاريّة الاسلاميّة

الدكتور ماير (L. A. Mayer) نظّم في القدس الشريف متحفاً خاصاً بالعاديّات الفلسطينيّة. وقد افرز قسماً منهُ فعرض فيهِ ما يُعرف للدول الاسلاميّة في فلسطين من العلائم الشاريّة ووَصف العلائم المذكورة قلّما عُني بهِ المستشرقون فالدكتور ماير

ضروب المنسوجات الراقية الى القرون الوسطى . فالمستر فنديك الذي كان وصف سابقاً في ثلثة مجلدات منسوجات مصر اليونانية والرومانية قد اضاف اليها حديثاً ثالثة المنسوجات الاسلامية في القرون الوسطى بادئاً بالمنسوجات المصرية الشاملة مصر وسورية ثم الحقها بوصف منسوجات الاسلام في صقلية واسبانية والصين

Un apostolat social et religieux : PAUL LEROLLE, souvenir d'un ami, par **Paul Blanchemain**, 1 *vol.*, 8°, 1925, *Paris, Libr. de Gigord*

رسول الهيئة الاجتماعية والدين

في ٢٦ ت ١ سنة ١٩١٢ استأثر الله بحياة احد رجال باريس المعدودين الموسيو لورول مندوب باريس ومستشار بلديتها الذي مدة سنين طوال جاهد اطيب جهاد في سبيل السلام العام تحت راية الدين فخدم الملة خدماً قيدتهم بجميع . فلم يشاء احد اصدقائه المسيو بلانشمان ان يضيع ذكر هذا الرجل العظيم فألف ترجمته وعدد مناقبه واطرأ فضائله المسيحية والاجتماعية التي ميّزته بين اهل وطنه . وقد نقل كثيراً من اقواله ولعلّه بالغ في ما رواه منها . وفي صدر الكتاب صورة صاحب الترجمة تاريخها ١٩١١ والصواب ١٩١٢ ج.ل

R. Burton: Meine Wahlfahrrt nach Medina und Mekka — *Wege zum Wissen*, n° 13, 1 *vol. in-16*, *Verlag Ullstein, Berlin, s. d*

حجي الى المدينة والى مكة

في السنة ١٨٥٣ رحل الى المدينة والى مكة الانكليزي ريشرد برتون الضابط في جيش الهند فدخلهما متنكراً ثم نشر اخبار رحلته بالانكليزية . كانت وفاته سنة ١٨٩٠ وهو قنصل لدولته في تريست . والكتاب المذكور آنفاً هو ترجمة رحلته الى اللغة الالمانية باختصار كبير الاب ه. لامنس

LA REVUE ECONOMIQUE INTERNATIONALE, 2° de Juillet 1925

نشرت مجلة الاقتصاد الدولية التي تطبع في بروكسل ثلاث مقالات مهمة من بلاد تركية والشام: الاولى تبحث من ديون تركية العمومية لاستاذ اثينة اندره

اندياس . والثانية عن سكك تركيــة الحديديّة لمدير شركة السكك الحديديّة في بلجيكا المسيو ليونل ڤيغ . والثالثــة لاستاذ جامعة كاين (Caen) جورج ڤيل في ترقي بلاد الشام سياسياً واقتصادياً وادبياً كتبهــا عن السنتين ١٩٢٣و١٩٢٤ اذ تجوَّل في اطرافنا . ولعلّهُ كان رأى امورنا على غيرهذه الصورة الراقية لو زارنا في السنة الماضية ونحن ننتظر ما ستقوله جماعة الامم قريباً عن احوالنا

G. J. Gignoux et F. F. Legueu: Le bureau de rêveries. 1 *vol.*, *in*-12, *Paris. B. Grasset*, 1925, *Prix* 9 *f*

مكتب الاحلام

انَّ الازمة المالية التي صارت اليها فرنسة في هذه الأيام بهبوط قيمة الفرنك دعا بعض الباحثين الى ذكر حوادث تاريخيّة سابقة ارتبكت بها فرنسة فأصيبت بضربات أليمة . والكتاب المذكور هنا احتوى في ذلك درساً مهماً عمّا كابدتهُ فرنسة في الربع الاوّل من القرن الثامن عشر اذ تولّى الصرّاف لاو (Law) تدبير المالية العمومية واصدر الاوراق المالية بعدد وافر اسقط قيمتها وكان السبب لافلاسهِ وسوء احوال المالية في فرنسة . وفي هذا الكتاب تفاصيل من ذلك الحادث كانت الى يومنا مجهولة . ثمَّ انتقل مؤلّفهُ الى المقابلة بين حالة فرنسة الحاضرة وحالتها في تلك الأيام المشؤومة والسبب في الحالتين واحد وهو سوء تدبير المالية ولعلّ الحالة الحاضرة اسوأ ايضاً لتلاعب ايدٍ كثيرة

Curnonsky et Bienstock: Le Musée des erreurs ou le français tel qu'on le parle, 1925, *Paris*, *Albin Michel*, *Prix*, 9 *f*

معرض الاغلاط في اللغة الفرنسويّة الحاضرة

غاية مؤلّفي هذا الكتاب ان يبيّنا كيف تتحوَّل اللغة الفرنساويّة الفصحى كلّ يوم الى لغة فاسدة بنموّ عدد الكتبة الذين لا يُحسنون اصولها وقد اثبتا في تأليفهما فصولاً لعدَّة كتبة انتقداها لفظاً ومعنًى وبيّنا شططها . وبذلك نبّها افكار الادباء لتلافي هذا الخلل لئلّا تفقد اللغة الفرنسويّة خواصّها التي بلّغتها بين لغات الــدول رتبةً ممتازة

ج . ل

A. François-Poncet: Reflexions d'un républicain moderne. 1 *vol. in-16, Paris, Bernard Grasset*, 1923, *Prix* 5 ᶠ

خواطر لجمهوري عصري

انَّ بين انصار الجمهورية في فرنسة رجالاً متصفين يستاؤون ممَّا يرون في الحكومة من التحزُّبات كأن الوطن ينحصر في قسم واحد من ابنائهِ ولا يعمّهم جميعاً . ومؤلف هذا الكتاب يتأسف على تطرُّف الجمهورية في وطنهِ التي يحاربها للدين تنفي حرية الجمهوريات الصادقة التي تمنح الحرية للجميع دون تمييز . على أنَّنا رأيناهُ يتجاوز الحدود في ختام كتابهِ اذ يحضُّ مواطنيهِ على محبَّة وطنهم لان الوطن على قولهِ «هو دينهم وسرُّهم» (كذا) ج . ل

Bulletin annuel de la Faculté Française de Médecine et de Pharmacie de Beyrouth. *Année scolaire*, 1924-1925, *pp*. 96.

النشرة السنوية لمكتب الطب والصيدلية الفرنساوي

هذه السنة الثالثة والاربعون للمكتب الفرنساوي الطبي والصيدلي . ننقل عن نشرتهِ الرسميَّة الجديدة ما يأتي : كان عدد عمدة المكتب مع مساعديهِ ٣٠ : وعدد طلبة الطبّ ١١٢ والصيدلة ٢٦ وطب الاسنان ٤٥ وطالبات التوليد ١٧ . وقد بلغ الذين نالوا الاجازة القانونيَّة في السنة المدرسيَّة ١٩٢٤ـــ١٩٢٥ من طلبة الطب ٢٢ طالباً ومن الصيدلة ٥ ومن طلابة الاسنان ١٠ ومن فنّ التوليد ٨ مجموع الطلبة ٢٠٠ وحاملي الاجازات ٤٥ . وقد دخل مستشفى المكتب الطبي ٥٩٢ عليلاً . وبلغ عدد المسترشدين ١١٦٣٢ والعملات الطبية ١٤٨ وعملات العيون ٢٤٦ والآذان والحنجرة ١٠٧ دخل دار التوليد ٤٣٦ امرأة وعولج من الكَلَب في السنة ١٩٢٤ ١٠٤ اشخاص وفي السنة ١٩٢٥ ١٥٠ شخصاً ولم يمت احد من المعالجين . بلغ عدد ما حُلِّل في المكتب البكتريولوجي ٤٠٤٣ تحليلاً وفي المكتب الكيموى ١٠٦١ . وقد نال كثيرون من الاساتذة والطلبة امتيازات شرفيَّة من الدولة الفرنسويَّة ومن غيرها يطول تعدادها . ونشر كثيرون نشرات طبيَّة ل . ش

شذرات

﴿ المؤتمر الاثري في سورية وفلسطين ﴾ في ٨ نيسان القادم ستحظى بيروت باوّل موتمراتها العلمية . فسيقام فيها مدّة اسبوع المؤتمر الاثري الذي سيحضره كثير من ممثلي الدول الاوربية والجامعات الكبرى والمدارس العليا . وستدور المجادلة من الآثار السابقة للتاريخ واصول الامم والعاديات وآثار القرون الوسطى والاجيال الاخيرة . وبعد هذا الاسبوع سيواصل المؤتمرون اشغالهم في الاسبوع التالي في دمشق الشام ثمّ ينجزونها في اسبوع ثالث في القدس الشريف . فأملنا من اهل الوطن ان يشاركوا هؤلاء العلماء بابحاثهم فيفيدوهم كما يستفيدون منهم ويتحقّق الاوربيّون انّ الشرقيين يجارونهم في حلبة المعارف الشريفة

﴿ وفاة كاهن نباتي ﴾ توفي في فرنسة في ٢٠ ت ٢ الاخير كاهن بسيط وهو القانوني كوست الذي منذ نحو خمسين سنة كان يتجوّل في جبال فرنسة ووديانها ليجمع ما يجدهُ في كل مناطقها من النبات والزهور فنظّمها ووصفها وصفاً مدقّقاً ونشرها بالوانها العجيبة في ثلثة مجلدات ضخمة ذات ثلثة آلاف صفحة مع صورها البالغة ٥٠٠٠ شكل استحقّ بنشرها ان يُعطى وسام صليب جوقة الشرف ويُختار كرئيس ثانٍ لجمعية النباتيين في فرنسة

﴿ آخر احصاء لسويسرة ﴾ يبلغ اهل سويسرة اليوم ٤،٣٦٨،٦٧٣ نفساً معظمهم البروتستانت ٢،٧٥٠،٦٢٢ وهم ينقسمون الى شيع متعدّدة بينها ٣١ شيعة ذات شأن . ويبلغ الكاثوليك ١،٥٨٥،٦١١ يسكنون المقاطعات التي انقذها القديس كانيزيوس من غارات المبتدعين . والباقون ٢٨،٠٤٠ يهود وروم ومسلمون او ملحدون

﴿ السنون والشهور في اعمار الآباء الاوّلين ﴾ انّ بعض الكتبة العصريين لا يكتفون بالخوض في المسائل العلمية فربّما نصبوا نفسهم كشارحي الكتاب المقدّس . فهذا صاحب المجلة الشهرية كتب في العدد الاول من سنته الثانية (ص ٤٦) فصلاً تحت عنوان «طول العمر» وزعم انّ الآباء الاولين الذين ذكرهم موسى في سفر

التكوين كآدم ومتوشلح لم يعيشوا كما ذكرت التورات نيفاً و٩٠٠ سنة وانّ السنين المذكورة هناك يراد بها الشهور فمعنى قولها مثلاً ٠ ان متوشلح عاش ٩٥٠ سنة ٠ معناهُ انهُ عاش ٩٥٠ شهراً اعني ٨٠ سنة وهو تأويل غريب يسندهُ الى آية في الترامير زعم انها قيلت «من لسان موسى» (كذا) ولو قرأ جنابهُ الفصول الاولى من سفر التكوين لرأى هناك انّ موسى يميّز بين الشهور وبين السنين ويذكر في الفصلين السابع والثامن ايام الشهور حتى صرّح بذكر «اليوم السابع والعشرين من الشهر الثاني» . ومن العجب انهُ ينكر العمر الطويل على الاباء الاوّلين اذ كانوا في قوة بنيتهم ويروي (ص ٤٢) اعمار بعض المحدثين الذين بلغوا ١٦٦ سنة و١٥٢ سنة . فليراجع في المشرق (٤[١٩٠١]: ١٥٢ــ١٥٤) مقالةً في هذا الموضوع للمنسنيور يوسف العلم

﴿مقالة للشرق والغرب في دياميس رومية﴾ قرأنا بلذّة في مجلّة الشرق والغرب في عددها الثاني فبراير (ص ٣٣ــ٣٧) مقالةً «الحبيب» في سراديب رومية التي سبقت لنا فيها مقالات عديدة . فاستحسنّا ما كتبهُ هناك تحت عنوان «حتى الحجارة تصرخ» فبيّن كم من الشواهد الناطقة بين تلك الآثار تثبت العقائد المسيحيّة . لكنّنا لا نوافق جنابهُ على الاثر الذي رواهُ في هذه الصورة «Aquilæ Priscæ in Pace» فزعم انّ المراد بهذه الكتابة أكيلا وبرسكة الوارد ذكرهما في اعمال الرسل (١٨ : ٣و١٩) وفي رسائل مار بولس (رومية ١٦ : ٣ــ٥ و١ كور ١٦ ــ١٩) وهو قول لا سند لهُ ولا يوافقهُ عليه اثريّ ثابت

﴿المئة الثالثة لرسالتي المرسلين الكبوشيّين واليسوعيّين في سورية﴾ في السنة ١٩٢٥ تمت المئة الثالثة منذ أنشئت رسالتا الآباء الكبوشيين والآباء اليسوعيين في سورية فاحتلّ الكبوشيّون في بيروت ودخل اليسوعيّون حلب . ويسرّنا بهذه النسبة ان نذكر ما للآباء الكبوشيين من الاعمال الرسولية والخيرية في جهاتنا . لحضراتهم ثمانية مراكز . ستة في الشام: بيروت انطاكية غزير إعبيه بعبدات خضريك واثنان في قيليقية: مرسين وطرسوس يسكنها ٢١ مرسلاً كاهناً وخمسة شمامسة وهم يديرون ثلثة مياتم في لبنان عدد ايتامها ٧٨٢ و٢٩ . مدرسةً يبلغ عدد تلامذتها ١٦٩٦ ويرشدون في الرهبانية الثالثة ٣٦٤٠ رجلاً او امرأة في ٥٤ مركزاً . ويديرون ايضاً جمعيّتين من الشبان ومطبعة وستة معامل صناعيّة للنساجة والسكافة والنجارة وشغل الطنافس

والتطريز والتجليد. هذا ما عدا اعمالهم الرسولية من وعظ وتوزيع اسرار وخدمة رعايا الابهم الله ونفع بلادنا باثمار غيرتهم وزادهم نموًّا وفضلًا

﴿منشور نيافة القاصد الرسولي﴾ الصوم السنة الحاضرة موضوعها اوّل وصايا السيد المسيح واكبرها اعني محبة الله العائدة اليها ايضاً محبة القريب. وقد عالجهُ نيافتهُ بعلمهِ وحكمتهِ الشهيرتين. فترضي القرّاء بمطالعتهِ واحراز فوائدهِ

﴿برغوث من عهد الفراعنة﴾ وُجدت حديثاً في بعض مدافن مصر القديمة زجاجة تحتوي زيتاً من الخروع كان متعقّدًا وفي وسطهِ برغوث جامد من عهد الفراعنة

﴿جرس موتى الحرب﴾ جمع الايطاليون ما اخذهُ المتحالفون في الحرب الكونية من مدافع الاعداء. فسبكوها جرساً ضخماً سيجاورنهُ في قبة خاصة في مدينة ريفارتو ليُقرع كل يوم مساء فيصلي السامعون لراحة نفوس موتى الحرب

﴿المعمرون﴾ ليس المعمرون نادرين حتى في زماننا كما سبق لنا في جوابنا على المجلة الشهرية. وفي انباء الفيليبين الاخيرة انَّ المسمى انطونيو سوليتانا توفي وعمرهُ ١٣٩ سنةً

﴿دير مار مارون الكبير في القرن الثامن﴾ هذا الدير الواقع بقرب العاصي هو الذي استشهد رهبانهُ في السنة ٥١٧ للميلاد كما ذكرنا في مقالتنا عن شهداء المجمع الخلقيدوني (المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٥٨٨ـــ٦٠٣) وورد ايضاً ذكرهُ في تاريخ هرقل الملك الذي زارهُ في القرن السابع. ولا نجد لهُ بعد ذلك ذكرًا في التاريخ إلّا ما رواه عنهُ المسعودي في القرن العاشر في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف (ص ١٥٣ـــ١٥٤) ووصف غناهُ السابق واردف «انهُ خرب وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن من الاعراب وضيق السلطان» وقد وقفنا لهُ في قائمة مخطوطات لندن السريانيّة الذي طبعهُ العلّامة وليم ريت (W. Wright) على اثرٍ احببنا الفات النظر اليهِ ففي المخطوطة الموسومة بالعدد ٧٢ من هذه القائمة (ص ١٥٤) ورد ذكر مجموعة تحتوي عدّة رسائل قديمة في الحياة الروحيّة وتاريخ هذه المخطوطة ٨٩٢ لليونان الموافقة للسنة ٥٨١ للمسيح. ففي الصحيفة ١٢٦ منها يقال «انَّ هذا الكتاب دخل في مكتبة دير مار مارون سنة ١٠٥٦ الموافقة للسنة ٧٤٥» ويُذكر هناك اسم جرجس رئيس الدير وناظر المكتبة المسمى اثناس وراهبان آخران اسمها قوزما وزكريا. ومن هذا الاثر يلوح ان الدير كان عامرًا في اواسط القرن الثامن

أسئلة وأجوبة

س سأل احد القرّاء ما هو اصل شهورنا العربية وما معناها ؟

الشهور العربيّة ومعناها

ج ليس امرٌ اشقّ واصعب من معرفة اصل الشهور العربيّة الشائعة بين النصارى . فانها راقية الى الوف من السنين وقد وجدها العلماء في كتابات حمورابي الاشورية وفي الآثار السومريّة ثمّ في العبرانيّة والنبطيّة والفينيقيّة مع اختلاف في زمن وقوعها في فصول السنة وتباين في اسمائها . فمنهم من يشتقّها من اوصاف تدلّ على احوال السنة ومنهم من يزعم انّهُ يراد بها اسماء آلهة كتموز الاله البابليّ وغيره . ولو جمعنا آراء العلماء في شرحها لضاق عنها عدد كامل من المشرق

س وسأل آخر ما سبب انقلاب لبيب افندي الرياشي على الماسونية بعد ان كان من رؤسائها راقيًا درجاتها السامية ؟

انقلاب لبيب افندي الرياشي على الماسونية

ج سبب هذا الانقلاب ما وجدهُ جنابهُ في الماسونيّة من التحزّبات والفوضى التي أشرنا اليها غير مرّة في كتاباتنا السابقة عن الماسونيّة فجاء مثبتًا لما رويناهُ عن اوثق الاسانيد . وقد ذكرنا مرارًا ما وقع من الخلاف في الماسونيّة المصرية حتى تجاوز حدود المحافل وبلغ المحاكم . ولا عجبَ وقد قال الكتاب « ان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلًا يتعب البنّاؤون »

س وسأل غير واحد ما السبب لتعريب الآية الثانية عشرة من المزمور الثاني في الترجمة اليسوعيّة « قبّلوا الابنَ لئلّا يغضب » بينا نقرأها في الطبعة المدرسيّة « لازموا الادب لئلّا يغضب الربّ » ؟

شرح الآية الثانية عشرة من المزمور الثاني

ج معلوم ان ترجمتنا منقولة عن العبرانيّة وفي العبرانيّة «נשקו בר פן יאנף» اي «قبّلوا الابن لئلّا يغضب» ومثلها الترجمة السريانيّة القديمة وهكذا عرّبها ايضاً الامير كان . وهذه الترجمة موافقة لقرائن المزمور الذي هو كلّهُ نبوّة عن السيّد المسيح وملكهِ وقد دعاهُ الآب ابنهُ : «انت ابني وانا اليوم ولدتك» امّا الترجمة السبعينيّة فقد نقلت من رواية اخرى قريبة من الاصل : «لازموا الادب لئلّا يغضب الربّ» ل . ش